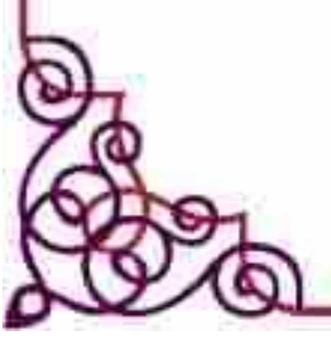

كشف الأكنة
شرح خذ عقيدتك من الكتاب والسنة
لمحمد جميل زينو
بقلم أبي ظريفة عبد العزيز بن الفقيه محمد سعيد
الولوي المنيّوي
المدرس في مدينة غرانا




# كشف الأكنة

## شرح خذ عقيدتك من الكتاب والسنة

بقلم أبي ظريفة عبد العزيز بن محمد




## مقدمة الشيخ العلامة محمد بن حسن بن فضل

### أبرز المدرسين في الحلقات العلمية في أدس أبابا

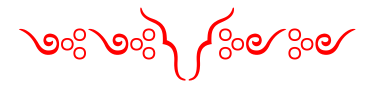
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من أراد له من عباده خيرا للتفقه في الدين وفتح له أبواب معرفة أسرار شرعه المتين وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نزل عليه الكتاب المبين والصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه الفقهاء المجتهدين:

أما بعد فقد نظرت في كتاب كشف الأكنة في شرح خذ عقيدتك من الكتاب والسنة شرحا جيدا جدا طابق اسمه مسماه يحل مشكلاته ويكشف معضلاته ويفتح مغلقه ويقيد مطلقه ويفك رموزه ويظهر كنوزه ويعلل مسائله ويظهر دلائله وهو للشيخ عبد العزيز بن الشيخ الفقيه محمد بن سعيد المنيوي

وهو كتاب ينبغي أن يطبع وينشر ويدرّس في الحلقات والمدارس.

هذا والسلام حفظ الله مؤلفه ورعاه من كل سوء



# مقدمة الشيخ الفاضل مؤسس السلفية ومحركها في بحر دار الشيخ محمد أول

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

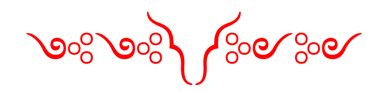
الحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه ورحمته وبركاته على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب «كشف الأكنة على رسالة خذ عقيدتك من الكتاب والسنة»

لولد شيخنا العالم الفقيه النحرير مجدد مذهب الشافعي في زمانه محمد بن سعيد المشهور بشيخ منيُّوَ رحمه الله رحمة واسعة وإيانا معه آمين.

وصاحب الشرح الولد هو تلميذنا الموسوم بـ «أبي ظريفة عبد العزيز بن محمد» فألفيته شرحا لطيفا مفيدا جدا ينبغي طبعه ونشره ليعم نفعه كما عم النفع بالرسالة زاد الله شارحه حرصا على السير على منهج السلف وزاده رغبة فيه ونفع بكتابه المسلمين.

والله ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن نهج بنهجه إلى يوم الدين



# نبذة من حياة المصنف

هو الشيخ العالم العلامة محمد جميل زينو ولد في سورية مدينة حلب عام ١٣٤٤هـ وحفظ القرآن مع التجويد في مدرسة " دار الحفاظ" ثم دخل مدرسة في حلب تسمى "الكلية الشرعية" فدرس فيها الفقه الحنفي والنحو والصرف والتفسير والتاريخ والحديث وعلومه وغيرها من العلوم ونال الشهادة الثانوية العامة عام١٣٦٧هـ ودخل دار المعلمين في حلب وعمل فيها معلما لمدة٢٩ سنة ثم ذهب بعمرة إلى مكة عام١٣٩٩هـ وتعرف على الشيخ مفتي الديار السعودية ابن باز وعيّنه مدرسا في دار الحديث بمكة فدرّس فيها التفسير والتوحيد والقرآن وغيرها.

وكان رحمه الله قد ترعرع وشب وشاب في حضن أهل الكلام والصوفية إلا أن عناية الله له قد سبقت جنايته فهداه إلى الطريق المستقيم ونفع به وبكتبه العباد.[١]

---

(١) مأخوذ من رسالة المصنف "كيف اهتديت"

# مقدمة الشارح

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على من أرسى قواعد الإسلام وعلى آله وأصحابه البررة الكرام.

وبعد: فلما رأيت الشباب والشابات مكبّين على هذه الرسالة المباركة، ورأيتها قليلة الألفاظ كثيرة المعاني تحتاج إلى توضيحها وإظهار مُفادها، لتكون سهلة المساغ قريبة المنال للمبتدئين، وضعت شرحا لطيفا يكشف أكنتها وسميته:

**" كشف الأكنة شرح خذ عقيدتك من الكتاب والسنة"**

وهذه الرسالة ضمّن فيها مؤلفها أهم المقاصد لإرسال الله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وإنزاله الكتب، وكل فقرة منها يحتاج إلى إسهاب الكلام حوله، إلا أني توخيت الاختصار مخافة الملل على من أريد لهم توضيحها، وهم المبتدئون.

ومما لا يفوتني التنبيه عليه أن هذا العمل جهد مقلّ يعتريه النقص لكن -ولله الحمد- وإن فاته الصواب لا يفوته الثواب، فمن وقف على شيء يستدعي النكير فلا يبخلنّ بنصيحته، وأسأل الله الكريم أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه ويجعله سببا لعفو زلاتي ومحو سيئاتي، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وكتبه أبو ظريفة عبد العزيز بن محمد

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أ ن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد فهذه أسئلة هامة في العقيدة أجيب عليها مع ذكر الدليل من القرآن والحديث ليطمئن القارئ إلى صحة الجواب لأن عقيدة التوحيد هي أساس سعادة الإنسان، في الدنيا والآخرة والله أسأل أن ينفع بها المسلمين، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

*الشرح:* بدأ المصنف رحمه الله بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز واتباعا بسنة النبي ﷺ: حيث يبدأ رسالاته بالبسملة وثنى بخطبة الحاجة تأسيا به ﷺ: حيث يبدأ خطبه ودروسه بها **وأما الكلام** على البسملة وكذا التعرض للمبادي العشرة مذكور في المطولات لا يلائم الرسالة قوله: "**أما بعد**" أي بعد البسملة والحمدلة وهي كلمة يؤتى بها عند الشروع في المقصود والدخول فيه قوله: "**فهذه**" اسم إشارة يشاربها إلى محسوس، وكأن المصنف أخر الخطبة عن الرسالة أو نزّل ما في ذهنه منزلة المحسوس لشدة استحضاره قوله: "**أسئلة**" جمع سؤال وهو طلب إيضاح أمر من الأمور، والمراد هنا أصول الدين كما يرشده قوله:" **في العقيدة**"، قوله: "**هامة** " والصواب أن يقول مهمة أي مثيرة للاهتمام وأما لفظة هامة فلا تعطي هذا المعنى والله أعلم قوله: "**في العقيدة**" العقيدة في اللغة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقديه وفي الاصطلاح ما يتدين به الانسان ويعتقده صحيحا كان أو فاسدا،

ولم يقيد المصنف العقيدة بالصحة لاكتفائه بقوله: "مع ذكر الدليل من القرآن والحديث" لأن العقائد المنحرفة أدلتها العقول القاصرة قوله: **"أجيب عليها"** أي على الأسئلة قوله: **"مع ذكر الدليل من القران والحديث"** أي الصحيح لأن الحديث الضعيف لا يصلح للاستدلال به في العقيدة والأحكام اتفاقا وفي الترغيب والترهيب عند بعض العلماء، ولعله هو الأصح، لأنه قول على الله بلا علم، قال البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]. : في تحريم الحرث والأنعام في قول مقاتل، وقال غيره هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين، قوله: **"ليطمئن القارئ إلى صحة الجواب"**[2] علة لكون دليله من القرآن والحديث لأنهما المقنعان اللذان لا يشوبهما خطأ ولا زلل، بخلاف الأقيسة فلا يؤمن زلاتها بل القياس أصلا باطل لا يجوز استعماله في أمور التوحيد.

**قال ابن عبد البر رحمه الله:** لا خلاف في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام[3]،وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في شرح الطحاوية: "كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير معرفة ما جاء به الرسول ﷺ"، قوله: **"لأن عقيدة التوحيد هي أساس سعادة الأنسان في الدنيا والآخرة"** علة لكون الأسئلة مهمة، والأساس أصل كل شيء ومبدؤه، والسعادة كل ما يدخل البهجة والفرح على النفس وهي في الدنيا تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت من الرزق الحلال والقناعة والعبادة، وفي الآخرة حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم.

**فائدة:** رتب المصنف رسالته على طريق السؤال والجواب لأنه أوقع في النفس بحكم الإبهام ثم التبيين، قوله: **"والله أسأل أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خالصة لوجهه الكريم"**

---

(١) البقرة١٦٩

(٢) وهنا قيد لا بد منه وهو أن يكون دلالة الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح وقد أخبرنا الرسول ﷺ، فضلهم حيث قال: خير الناس قرني ثم الذين... مما يدل على حجية منهجهم على القرون التالية في طريق التلقي وفهم الكتاب والسنة في ضوء منهجهم.

(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله٢/٥٥وعنه في موسوعة أهل السنة٥٠

الله مفعول مقدم قدمه لإفادة الحصر، أن ينفع بها المسلمين أي والمسلمات من باب الاكتفاء على حد قوله تعالى: ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ۝٨١﴾ [١] أو أن النسوة يدخلن في جمع المذكر على رأي بعض الأصوليين لأن النساء شقائق الرجال، قوله: "**ويجعلها لوجهه الكريم خالصة**" هذا دعاء له لتنقية عمله من شوائب الشرك والإعجاب، لأن المؤمن لا يأمن أن تصيبه الفتنة، حتى في حال طاعته قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.[٢]

## حق الله على العباد

*الشرح:* بدأ المصنف التبويب بحق الله على العباد لأن الواجب على العبد أن يعرف ما عليه من ربه، ليستعد به ثم يرجو ماله منه ثم ذكر فيه العلة الغائية لخلق الله الجن والأنس فقال رحمه الله

**س١: لماذا خلقنا الله؟ ج: خلقنا لنعبده ولا نشرك به شيئا والدليل قوله تعالى في سورة الذاريات:** ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]. **وقوله ﷺ:"حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا" متفق عليه.**

*الشرح:* للآية معان **منها**: أن الله تعالى قد خلق الثقلين لعبادته ولكن منهم من أطاعه ﷻ ومنهم من عصاه لاستحواذ الشيطان عليه قال ابن عثيمين رحمه الله: في" **القول المفيد**" واللام في قوله: إلا ليعبدون للتعليل، وهذا التعليل لبيان الحكمة من الخلق، وليس التعليل الملازم للمعلول، إذ لوكان كذلك للزم أن يكون الخلق كلهم عبادا، يتعبدون له وليس الأمر

---

(١) النحل٨١

(٢) ذكره ابن كثير في سورة الأعراف٩٩الآية

كذلك، فهذه العلة غائية وليست موجبة، والفرق بينهما أن الأولى لبيان الغاية والمقصود من هذ الفعل، لكنها قد تكون وقد لا تكون، والثانية معناها أن المعلول مبني عليها فلابد أن تقع وتكون سابقة للمعلول ولازمة له، انتهي بتصرف يسير(١).

**ومنها:** ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، أي إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي، واختاره صاحب معارج القبول رحمه الله، فانه قال بعد ما ذكر الأقوال: قلت وهذه الأقوال في هذه الآية وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها أرجحها الأول-وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلا لآمرهم وأدعوهم لعبادتي- يؤيده قوله تعالى:﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾(٢) قوله: "**حق الله** الخ": تمام الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: "كنت رديف النبي ﷺ، على حمار فقال: "يَا مُعاذ أَتَدْرِي مَاحَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ وَمَاحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ قَالَ: لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوْا".(٣)

**الحق هو المستحق** على الغير إذا كان لا تردد فيه، وهو المعنيُّ بقوله: **حق الله على العباد** وهو ما يستحقه على عباده، مما جعله متحتما عليهم، قوله: "**أن يعبدوه ولا يشركوا به**" المراد بالعبادة عمل الطاعات، واجتناب المعاصي، وعطف عليها عدم الشرك لأنه لا تتحقق العبادة إلا به، والحكمة في عطفه على العبادة، أن بعض الكفرة كانوا يدَّعون أنهم

---

(١) انظر القول المفيد١٤

(٢) التوبة٣١

(٣) متفق عليه

يعبدون الله ولكنهم كانوا يعبدون آلهة أخرى فاشترط نفي ذلك ذكره الحافظ رحمه الله في الفتح.[١]

**أو الحق** كل موجود متحقق أوما سيوجد لامحالة ويقال للكلام الصدق حق، لان وقوعه متحقق، لا تردد فيه، وهو المناسب لتفسير قوله: **"حق العباد على الله"**، لأنه سبحانه لا يجب عليه شيء، بحكم الأمر إذ لا آمر فوقه، بيد أن وعده لا يجوز عليه الخلف.

**قال الحافظ رحمه الله:** وتمسك بعض المعتزلة بظاهره، ولا متمسك لهم فيه مع قيام الاحتمال ومن الاحتمال أن المراد بالحق هنا المتحقق الثابت، أو الجدير، لأن إحسان الرب لمن لم يتخذ ربا سواه جدير في الحكمة ألَّا يعذبه، انتهي بتصرف.

قوله: **"من لا يشرك به شيئا"**، أي مع عبادته، وقد يفهم هذا من قوله: حق العباد وذلك لأن الوصف بالعبودية يستلزم كون الموصوف بها عابدا، قوله ﷺ: **"لا تبشرهم فيتكلوا"** فيه دلالة على جواز كتمان العلم عن بعض الناس للمصلحة، حيث إن بعض الناس لو أخبرته بشيء من العلم افتتن، قال ابن مسعود إنك لن تحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.[٢]

وقد تقتضي المصلحة ترك العمل، وإن كان فيه مصلحة، لرجحان مصلحة الترك، كماهم النبي ﷺ: أن يهدم الكعبة، ويبنيها على قواعد إبراهيم، ولكن ترك ذلك خشية افتتان الناس، لأنهم حديثو عهد بكفر.[٣]

**تنبيه** فان قيل كيف أقر النبي صلي الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه، حيث قال: الله ورسوله أعلم بالعطف بالواو، وقد أنكر على من قال ما شاء الله وشئت؟ قيل إن الرسول ﷺ: عنده

(١) رقم الحديث ٦٥٠٠
(٢) أخرجه مسلم
(٣) انظر القول المفيد

من العلوم الشرعية، ما ليس عند القائل ولهذا لم ينكر النبيﷺ: عليه، بخلاف العلوم الكونية، فالرسولﷺ: ليس عنده علم منها، ولذا أنكر على من قال ما شاء الله وشئت.

ولما فرغ عن الكلام عن علة خلق الجن والإنس، أخذ يتكلم عن تعريف العبادة وكيفية التعبد وحال المتعبد فقال رحمه الله:

**س٢: ماهي العبادة؟ ج: العبادة اسم جامع لما يحبه الله من الأقوال والأفعال، كالدعاء والصلاة والذبح وغيرها قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦٢﴾ [سورة الأنعام:١٦٢] نسكي، ذبحي للحيوانات **وقال ﷺ: قال تعالى:(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه)** رواه البخاري

*الشرح:* للعبادة تعريفات منها الخضوع والتذلل، ومنها الطاعة، ومنها ما في المتن، وهو تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، واختاره المصنف لأنه أجمع ما قيل في تعريف العبادة.

**وتطلق العبادة على شيئين** باعتبار الإسمية والمصدرية، فهي باعتبارها مصدرا تعني التعبد وهو فعل العابد، فالعبادة بهذا الاعتبار التذلل لله محبة وتعظيما بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه، وأما باعتبارها اسما، فهي تعني المتعبد به، وتعريفها ما في الكتاب، مثال ذلك الصلاة، ففعلها عبادة، وهو التعبد ونفس الصلاة عبادة، وهو المتعبد به.

**وجعل ابن تيمية** رحمه الله الدين كله داخلا في العبادة مستدلا بحديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن شرائع الإسلام ثم قال النبيﷺ، بعد ما ذهب: "هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم" قال ابن تيمية رحمه الله: فجعل هذا كله من الدين والدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان أي ذللته فذل، ويقال يدين لله، ويدين الله، أي يعبده ويطيعه

ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له(١) وبهذا يعلم أن جميع أمور الدين من الاعتقادات والأقوال والأفعال داخل في مسمى العبادات، ومع ذلك قد حاول الشيخ الهرريُّ كما في صريح البيان أن يخرج أمورا -هي من مفهوم العبادة- من دائرة العبادة كدعاء غير الله والاستغاثة زاعما بأن العبادة نهاية التذلل والخضوع.

وقد خلّط بين العبودية العامة التي هي عبودية أهل السماوات والأرض كلهم، برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾(٢).

وبين العبودية الخاصة المطالب بها الإنسان التي هي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر: قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾(٣).

ثم إنه لم يدر أن طلب حاجة لا يستطيعها إلا الله داخل في غاية التذلل وكلما كانت الحاجة أعظم كان تذلل صاحبها أكبر، فان الحاجات قسمان:

١ قسم: لا يستطيعه إلا الله، ٢ وقسم: يستطيعه الانسان في حياته

**فالقسم الأول**: لا يجوز أن يسأل فيه الا الله، فانه داخل في العبادة والتي هي نهاية التذلل وهذه الحال لا تجوز الا لله، فإنزال المطر لا يستطيعه الا الله، ولا يجوز أن يسأل من غيره سبحانه، ولهذا لم يكن الصحابة يسألون رسول الله ﷺ أن ينزل المطر لا حيا ولاميتا، إنما يسألون في حياته أن يدعو الله أن ينزل المطر كما في الصحيح: عن أنس رضي الله عنه،قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت المواشي وتقطعت السبل، فدعا فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، ثم جاء فقال: تهدمت البيوت وتقطعت السبل، وهلكت المواشي فادع الله يمسكها

(١) انظر العبودية٣١-٣٢وعنه في فرقة الأحباش٢٦٣

(٢) سورة مريم٩٣

(٣) سورة الزخرف٦٨

فقامﷺ فقال: اللهم على الآكام والظراب والأودية ومنابت الشجر، فأنجبت عن المدينة انجاب الثوب.(١)

**وأما القسم الثاني**: وهو ما يستطيعه الانسان، فهو أمر مباح لا يسمى عبادة مع أن الأ كمل للإنسان الاستغناء عن سؤال المخلوق مطلقا، كما يدل حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بدون حساب ولا عذاب، ومن صفاتهم أنهم لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون، واحتج ذلك الشيخ بالحديث الذي رواه ابن ماجه والبيهقي عن معاذ ﷺ: أنه لما قدم من الشام سجد لرسول الله ﷺ: فقال: الرسول ما هذا؟ فقال: يا رسول الله إنّ أهل الشام يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم، وأنت أولى بذلك، فقال رسول اللهﷺ: لوكنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها وقال: ولم يقل كفرت مع أن سجوده للنبي مظهر كبير من مظاهر التذلل.

الجواب من وجهين:

أحدهما: أن النبي ﷺ، لم يكن من أسلوبه أنه يكفر من فعل كفرا من أصحابه عن جهل وإنما كان يوجهه إلى الصواب، فعدم تكفير معاذ لا يعني إقراره ولذلك نهاه.

الثاني: أن معاذا ﷺ سجد للنبي ﷺ، سجود تحية، لا سجود عبادة، فقد رأى حينما ذهب إلى الشام ما يفعله أهل الكتاب من سجود لعلمائهم، فأراد أن يفعل ذلك مع الرسولﷺ، تعظيما له، فلما علم النبيﷺ: أن سجوده سجود تحية نهاه عن تعظيمه بالسجود له، فكان ذلك نسخا لسجود التعظيم والتحية الذي كان مباحا للأمم السابقة، كما حصل في أبوي يوسف وإخوته، بل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، وليس ذلك سجود عبادة، قال ابن كثير ﷺ: قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ

(١) رواه البخاري رقم الحديث ١٠١٦

لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾[١].فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته، ولكن نسخ في ملتنا.[٢]

قال ابن تيمية رحمه الله: أما الخضوع والقنوت بالقلوب، والاعتراف بالربوبية والعبودية، فهذا لا يكون على الإطلاق الا لله سبحانه، وهو في غيره ممتنع باطل، وأما السجود فشريعة من الشرائع، إذا أمرنا الله أن نسجد له، ولو أمرنا أن نسجد لأحد من خلقه لسجدنا له طاعة لله إذا أحب أن نعظم من سجدنا له فسجود الملآئكة لآدم عبادة لله وهو لآدم تشريف وتكريم وتعظيم، وسجود إخوة يوسف له تحية وسلام. [٣]

**وأما ادعاء الهرريّ** أن دعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب ما لم تجر به العادة ليس بعبادة فهذا ادعاء باطل، إذ هذه الأعمال من أنواع العبادة، بل أسس من أسسها، وسيأتي بيان كلٍ في موضعه، إن شاء الله، قوله: "**كالدعاء والصلاة والذبح وغيرها**" اختار هذه الثلاثة من أنواع العبادات، وأشار إلى غيرها بقوله: "**وغيرها**" لأنهن غالبات الوقوع لغير الله، فأراد أن يبين أنها من العبادات ليحذر العاقل النبيه من جعلها لغير الله، أما كثرة الدعاء والذبح لغير الله فظاهر، وأما الصلاة فمعالمها، "كالسجود والركوع" هي التي يكثر وقوعها لا حقيقتها، أو لشرفهن، أما الصلاة والذبح فلأنهما يدلّان على محبة الله وإخلاص الدين له قال العلامة السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ودلالتهما على محبة الله تعالى وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال لما هو أحب إليها وهو الله تعالى، ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله ، وأما الدعاء فقد روي فيه أنه مخ العبادة وثبت في الحديث أنه ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة"[٤] فإتيان

---

(١) سورة البقرة٣٤

(٢) ابن كثير ٢٤٨

(٣) انظر المجموع الفتاوى٤/٣٦٠وعنه في فرقة الأحباش٢٧٢

(٤) رواه الترمذي وقال حسن صحيح رقم الحديث ٣٢٤٧

الجملة بضمير الفصل وتعريف الجزأين يدل على حصر العبادة في الدعاء مبالغة، ومعناه أن الدعاء معظم العبادة كقوله ﷺ: "الحج عرفة ، قوله:"﴿وَنُسُكِى﴾" اختلف المفسرون في معنى نسكي فقال بعضهم ذبحي، وهو الذي مشى عليه المصنف وهو الذي يصلح أن يكون دليلا لما في حيز كاف التمثيل، وقال الآخر عبادتي، وعلى هذا فهو من عطف العام على الخاص، قوله: "﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾" أي ما أفعله في حياتي من عمل صالح وما أموت عليه من الإيمان، ففيه دليل على أن العبادة تشمل كل الأعمال المباحة التي أريد بها وجه الله، حتى العادات تنقلب بحسب نية عاملها إلى العبادات، ويدل لهذا حديث "وَفي بضعِ أحَدكُم صَدَقة" .

**قال النوى رحمه الله في شرح هذا الحديث:**" وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعة بالنيات الصالحات" قوله: "**وما تقرب إليّ عبدي بشيء..**" فيه دليل أيضا على أن كل الأعمال حتى المباحات التي أريد بها وجه الله عبادة يتقرب بها إلى الله، لأن لفظة شيء نكيرة في سياق النفي تعم الأشياء.

**وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم** هذا المعنى الشامل للعبادة، ففي صحيح البخاري رحمه الله عن أبي بردة في قصة بعث أبي موسى ومعاذ رضي الله عنهما إلى اليمن، وفي آخره قال: أبو مسى لمعاذ: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي وفي لفظ آخر أن معاذ قال:... أما أنا فأقوم وأنام، وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي قال الحافظ رحمه الله "ومعناه أن يطلب الثواب في الراحة، كما يطلبه في التعب"(١) .

وقد قيل عادات الفطناء عبادات وعبادات الغافلين عادات.

---

(١) البخاري مع فتح الباري رقم الحديث ٤٣٤٢

**س٣: كيف نعبد الله؟ ج: كما أمرنا الله ورسوله** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ [سورة محمد:٣٣]. **وقال ﷺ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد]** أي غير مقبول. رواه مسلم

*الشرح:* كيف اسم استفهام مبني على الفتح يسأل به عن الحالة والمسؤول هنا حالة العبادة، كأنه قال: هل كيفِيَّةُ العبادة متوقفةٌ على الإتباع، أم تدخلها الآراء والاستحسانات؟ فأجاب رحمه الله: بأنها متوقفة على الاتباع، فقال: **"كما أمرنا الله ورسوله"** فقوله: "كما" يدل على أن عبادتنا يجب أن تكون كيفيتها موافقة لأمر الله ورسوله، لأن الموافقة لأمرهما من تمام طاعتهما، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣﴾ وقال رسول الله ﷺ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم: "وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهومن جوامع كلمه ﷺ: فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات انتهى"

**وقد اتفق العلماء** على أن العبادة لا تصح إلا إذا توفر فيها أمران: الأول الإخلاص والثاني المتابعة، وقد جمعهما حافظ الحكمي في بيت فقال رحمه الله:

شَرطُ قبُولِ السعيِ أن يَجتَمِعا فِيهِ إصَابَةٌ وَإِخلَاصٌ مَعا

وسيذكرهما المصنف رحمه الله في باب مستقل.

**ومما ينبغي التنبيه عليه** أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقا للشريعة في أمور ستة، سببه وجنسه وقدره وكيفيته وزمانه ومكانه فإذا لم يوافق الشريعة في هذه الأمور الستة، فهو باطل مردود، لأنه إحداث في الدين ما ليس منه.

**س٤ : هل نعبد الله خوفا وطمعا؟ ج: نعم نعبده كذلك** قال تعالى: **يصف المؤمنين** ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [سورة السجدة:١٦]. **وقال رسول الله ﷺ: أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار،** (صحيح رواه أبوداود)

*الشرح:* الخوف انفعال في النفس لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب والطمع الأمل والرجاء، أي هل نعبد الله خوفا من عذابه وطمعا لثوابه أم نقتصر بأحدهما فأجاب رحمه الله بقوله "**نعم نعبده كذلك**" أي كما في السؤال ودليله وصف الله المؤمنين بهما حيث قال سبحانه: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.فوصفه المؤمنين بالخوف والطمع في معرض المدح دليل على أنهما صفتا المؤمنين حقا، وبأصرح من هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [١] قوله: "**وقال رسول الله ﷺ: "أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار**" فيه دليل على أن الجمع بين الخوف والطمع من هديه ﷺ.

**وهناك فريقان** على نقيض طرفي الضلال:

**أولهما**: الخوارج الذين جعلوا أصل عبادتهم الخوف من الله فقد كانوا يتشددون في أمر الذنوب، حتى كفروا المسلمين وأوجبوا لهم الخلود في النار، وكذلك المعتزلة الذين جعلوا المذنب في منزلة بين منزلة الإيمان والكفر،[٢] وذلك لأنهما يقولان إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وإنها شرط في بقائه، فمن فعل شيئا من الكبائر خرج من الإيمان.

---

(١) الأعراف٥٦

(٢) وهذا أحد أصولهم الخمسة: وهي التوحيد: يعنون به نفي صفات الله، والعدل: يعنون به أن الله عدل حكيم لا يفعل القبيح ولا يختاره ولا يخل ما هو واجب عليه، والوعد والوعيد: يعنون به أن الله يفعل ما توعد عليه كما يفعل ما وعد به ولا يجوز له الخلف والكذب، ومنزلة بين المنزلتين: وهي التي تعرف بمسألة الأسماء والحكم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد ضمّنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال،

**والثاني**: المرجئة الذين جعلوا أصل عبادتهم الرجاء وجعلوا مجرد الإقرار بالقلب كافيا لحصول العبودية والإيمان، وما عدا ذلك فليس من الإيمان، ولهذا كان الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص، والناس صدّيقهم وشهيدهم وصالحهم وفاجرهم فيه سواء، وكلاهما جانبا الصواب في معرفة أصل العبودية لله ﷻ بل أخذ كل منهما بجزء من الصواب، وأهمل الجزء الآخر.

**وهناك فريق ثالث** جعل العبادة بمعنى الحب فقط وهم المتصوفة الذين سلكوا في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين، إما من تعدي حدود الله، وإما من تضييع حقوق الله، وإما من ادعاء الدعاوي الباطلة التي لا حقيقة لها.

وقد قيل عن بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد.

**س٥: ما هو الإحسان في العبادة؟ ج: الإحسان هو مراقبة الله تعالى في العبادة، قال تعالى:** ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [سورة الشعراء:٢١٩] **وقال ﷺ: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فأن لم تكن تراه فإنه يراك**، رواه مسلم

*الشرح:* للإحسان مقامان: مقام المشاهدة وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، بأن يتنور قلبه بالإيمان حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو حقيقة مقام الإحسان.

مقام المراقبة: وهو أن يعمل العبد على استحضار اطلاع الله عليه وقربه منه، وأشار إلى الأول بقوله: "**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**" أي أن تعبد عبادة طلب وشوق بحيث أن تجد من نفسك ما يحثك على العبادة من المشاهدة لله بقلبك فتعبده كأنك تراه.

وأشار إلى الثاني بقوله: **"فإن لم تكن تراه فإنه يراك"** أي أن تعبده وأنت خائف منه هارب من عذابه وتستحضر في عملك اطلاعه عليك فتكون مخلصا له عز وجل لأن استحضارك اطلاعه على عملك يمنعك من الالتفات إلى غيره عز وجل.

وأهل هذين المقامين يتفاوتون بحسب مشاهدتهم لله واستحضارهم اطلاعه عليهم.

## أنواع التوحيد وفوائده

*الشرح:* التوحيد لغة مصدر للفعل المضعف العين يقال: وحَّد الشيء يوحِّده توحيدا أي جعله واحدا والمقصود هنا نسبته إلى التفرد لا الجعل، فمعنى وحّدت الله نسبته إلى الوحدانية لا جعلته واحدا لأنّ وحدانيته صفة له لا بجعل جاعل، أما التوحيد فهو فعل المكلف.

**وأما أنواع التوحيد شرعا فثلاثة أنواع:**

١ توحيده بأفعاله ٢ توحيده بأسمائه وصفاته ٣ توحيده بأفعال العباد

**س٦ : لماذا أرسل الله الرسل؟ ج: أرسلهم للدعوة إلى عبادته ونفي الشرك عنه قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۝٣٦﴾ [سورة النحل:٣٦] الطاغوت الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله

**وقالﷺ: والأنبياء إخوة ودينهم واحد الحديث:** متفق عليه

*الشرح:* وقبل أن يشرع المصنف بتوضيح ما ترجم له أخذ يشرح عن وظيفة الرسل إيذانا إلى أن تفاصيل العقيدة لا تعرف إلا بطريقتهم، لأنها من الأمور الغيبية.

أما الاستدلال العقلي كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٥﴾[1] فاستدلال

---

(١) الأعراف ١٨٥

إجمالي وليس تفصيليا فلا يكفي حجة، وإلا لما احتيج إلى إرسال الرسل، ولم يعذر للجاهل وقد قال الله سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾[1] وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾[2] وفيه أيضا إشارة على أن الرسل كلهم متفقون في أصل الدين، كما هو واضح من الحديث الذي أورده المصنف رحمه الله، قوله "**أرسلهم للدعوة إلى عبادته ونفي الشرك عنه** "لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ أي أرسلنا الرسل ليقولوا اعبدوا الله وحده واجتنبوا عبادة الطاغوت الذي يضل ولا يهدي، أي ما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، قوله "**الطاغوت الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله**" وقيل كل ما يعبد من دون الله وقيل كل ما يطغي الانسان، من طغا يطغي طغيانا إذا جاوز الحد وغلا، قوله: "**والأنبياء إخوة ودينهم واحد**" وفي رواية إخوة لعلات معنى العلات الإخوة من أب واحد وأمهاتهم مختلفة، والمراد بهذه الجملة أن أصل دين الأنبياء واحد وإن كانت شرائعهم مختلفة.

**ثم إن تقسيم العلماء التوحيد** إلى ثلاثة أقسام توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين، توحيد معرفة وإثبات، وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب، وهو توحيد الألوهية، ليس هو تقسيما تخمينيا إنما هو تقسيم استقرائيّ مستمدّ من الكتاب والسنة، فمن الآيات التي جمعت أقسام التوحيد قوله ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [3].

فالآية تدل على أن الله رب كل شيء، وعلى أنه الإله المعبود، وعلى أنه كامل الأسماء والصفات، وليس له في ذلك نظير، وبجانب هذا قد تدل الآية على تلازم توحيد العبادة

(١) سورة النساء١٦٥

(٢) سورةالإسراء١٥

(٣) سورةمريم٦٥

بتوحيد الربوبية، وذلك حيث أتت بالفاء في قوله: "فاعبده" الدالة على السبب، أي فكما أنه رب كل شيء فليكن هو المعبود حقا فاعبده.

**فالنسبةُ بين أنواع التوحيد الثلاثة**: أن يقال: إن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لهما، والمعنى أن من أقر بالألوهية فإنه يكون مقرا بتوحيد الربوبية وبتوحيد الأسماء والصفات، لأن من أقر بأن الله هو المعبود وحده، فخصه بالعبادة، ولم يجعل له شريكا فيها، لا يكون منكرا أن الله هو الخالق الرازق المحي المميت، وأنه له الأسماء الحسنى.

وأما من أقر بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، فإنه يلزمه أن يقر بتوحيد الألوهية.

وقد أقر الكفار الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ بتوحيد الربوبية، فلم يدخلهم هذا الإقرار في الإسلام، بل قاتلهم النبيﷺ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له، ولهذا يأتي كثيرا في القرآن تقرير توحيد الربوبية الذي أقر به الكفار لإلزامهم بالإقرار بتوحيد الألوهية ومن أمثلة ذلك قول الله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (١).

(١) سورة النور من ٦٠ إلى ٦٤

**ففي كلِّ آية** من هذه الآيات تقرير توحيد الربوبية للإلزام بتوحيد الألوهية، فيقول في كل آية من هذه الآيات عقب تقرير توحيد الربوبية ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ والمعنى أن من تفرد بهذه الأفعال التي هي من أفعال الله وحده، يجب أن يخص بالعبادة وحده، وكيف يعقل أن تكون المخلوقات التي كانت عدما، وقد أوجدها الله كيف يعقل أن يكون لها نصيب من العبادة وهي مخلوقة لله، وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [1] [2]

**س٧ : ما هو توحيد الرب؟ ج: توحيده بأفعاله، كالخلق والتدبير وغيرهما**
**قال تعالى:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [سورة الفاتحة:٢]. **وقال ﷺ: أنت رب السماوات والأرض**: متفق عليه

*الشرح:* قال في المصباح الرب يطلق على الله معرفا بال ومضافا ويطلق على مالك الشيء الذي لا يعقل مضافا إليه، ومنه حديث ــ حتى يلقاها ربها ــ وقد يستعمل بمعني السيد مضافا إلى العاقل، ومنه حديث ــحتى تلد الامة ربتهاــ ولا يجوز استعماله بالألف واللام للمخلوق بمعنى المالك انتهي بتصرف يسير، قوله "**رب العالمين** "دليل على أن الله خالق العالم ورازقه ومربيه، والمتصرف به كيف يشاء، وكذلك قول النبيﷺ: حين يدعو في صلاة التهجد بعد ما كبر التكبيرة الأولى "**أنت رب السماوات والأرض....**" [3]أما قوله: "**الحمد لله**" فهو دليل لتوحيد الألوهية، وسيأتي قريبا إن شاء الله.

(١) سورة الأعراف ١٩٤
(٢) شرح حديث جبريل لعبد المحسن العباد
(٣) رواه البخاري رقم الحديث ٧٣٨٥ مسلم رقم ٧٦٩

**وهذا النوع من التوحيد** جبلت عليه فطر العقلاء قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[١].

أما إنكار فرعون لهذا النوع في قوله: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [٢] تجاهل بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾[٤].

**وضد هذا النوع** من التوحيد هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع الله غيره فيمالا يقدر عليه إلا الله.

**س٨: ما هو توحيد الإله؟ ج: هو افراد الله بالعبادة كالدعاء والذبح والنذر قال تعالى:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٣]**وقالﷺ: فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا إله إلا الله،** (متفق عليه) وفي رواية البخاري: **إلى أن يوحدوا الله.**

*الشرح:* الإله فعال بمعنى مفعول ككتاب بمعني مكتوب ومعناه المعبود من أله إلهة أي عبد عبادة، فالإله يُطلق على كل معبود حقا كان أم باطلا، قال تعالى عن مشركي العرب: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[٥] وقال تعالى: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[٦] فقد سموا معبوداتهم آلهة مع اعتقادهم أنها ليست خالقة لهذ الكون.

---

(١) سورةالزخرف٨٧

(٢) سورةالشعراء٢٣

(٣) الإسراء١٠٢

(٤) سورة النمل١٤

(٥) سورة الصافات٣٦

(٦) سورة ص ٥

وقرأ ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ وإلاهتك بكسر الهمزة: أي عبادتك[١].

**وضابط هذا النوع من التوحيد** هو تحقيق معنى _لا إله إلا الله_، وهي مركبة من نفي وإثبات، فمعنى النفي منها خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة من كانت، جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت، ومعنى الإثبات منها، إفراد الله ﷻ بجميع أنواع العبادات، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله، وأكثر آيات القرآن في هذ النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم: قوله تعالى:" **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**" معناه وإلهكم الذي يستحق العبادة إله واحد فمن عبد شيئا دونه أو معه فعبادته باطلة لأن العبادة الصحيحة هي ما يتَّجه بها العابد إلى المعبود بحق، وقوله: **"لا إله الا هو الرحمن الرحيم"** توكيد لما تضمنته الجملة السابقة، قوله: "**فليكن أول ما تدعوهم ... وفي رواية إلى أن يوحِّدوا**" فرواية الثانية تفسر الرواية الأولى وتبين على أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله توحيد الله وإخلاص العبادة له، لا التلفظ بها فحسب.

**وهناك أدلة** على أن التوحيد هو العبادة، فمنها: قولهﷺ: في حديث معاذ نفسه في رواية أخرى "فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله" فهذه الروايات متفقة المعنى، فإن معنى شهادة أن لا إله إلا الله، توحيده بالعبادة، والبعد عن عبادة ما سواه، وهذا هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، الذي قال الله عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۝٣٦﴾ [٢].

**وبهذا علم ضلال بعض المتكلمين** والصوفية حيث جعلوا معنى لا إله إلا الله، لا قادر على الاختراع إلا الله، وعرّفوا التوحيد ببعض مدلولاته الذي أقر به المشركون وتركوا مدلوله الأصلي المبعوث لأجله الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ألا وهو توحيد العبادة.

(١) تفسير الطبري وابن كثير

(٢) النحل ٣٦

وبناء على أصلهم هذا أنه لا شرك عندهم بالتقرب إلى غير الله بالعبادة إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله، وأن المعبود متفرد بالخلق والتدبير.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وليس الإله بمعنى القادر على الاختراع، فإذا فسر المفسر "الإله" بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد –كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه– لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسولهﷺ فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾(١) فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه، إلى أن قال: ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويصوم وينسك لها ويتقرب إليها، ثم يقول: إن هذا ليس بشرك(٢)

**س٩: ما هو توحيد صفات الله وأسمائه؟ ج: هو إثبات ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه رسولهﷺ: في أحاديثه الصحيحة على الحقيقة بلا تأويل ولا تفويض ولا تمثيل ولا تعطيل كالاستواء والنزول واليد وغيرها مما يلق بكماله قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]. وقال ﷺ: ينزل الله في كل ليلة الي سماء الدنيا رواه مسلم: ينزل نزولا يليق بجلاله لا يشبه أحدا من مخلوقاته.**

*الشرح:* توحيد الأسماء والصفات هو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المتفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلال والجمال، وذلك بالاعتراف بكل ما ورد في

(١) يوسف ١٠٦
(٢) مجموع الفتاوى:٣|٩٧-١٠٥

الكتاب والسنة، من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، قوله: "**بلا تأويل**" التأويل لغة هو من الأَولِ بمعنى الرجوع.

**أما في الاصطلاح** فيراد به ثلاثة أمور:

**الأول**: التفسير وهذا المعنى هو الغالب عند مفسري القرآن ومنه قوله ﷺ: في دعائه لابن عباس رضي الله عنهما: "اللهم، فقِّههُ في الدِّينِ وعَلِّمهُ التَّأوِيلَ،" أي التفسير.

**الثاني**: الحقيقة التي يصير إليها الشيء، وهذا نوعان: **تأويل الخبر**: وهو وقوع المخبَر به في وقته الخاص مثاله قول يوسف عليه السلام ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ۝١٠٠﴾ [١] فيوسف عليه السلام لما رأى تلك الرؤيا في منامه أخبر بها أباه، فلما رأى ذلك واقعا قال: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ أي هذا حقيقة ما رأيته في منامي. **تأويل الأمر**: وهو إيقاع ما طُلِبَ منك فعله، فإذا قال لك قائل: صلِّ ففعلك للصلاة هو تأويل ذلك الأمر، ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ: يُكثِر أن يَقُولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ "سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي" يَتَأَوَّلُ القُرْآنَ فقول عائشة رضي الله عنها: "يتأول القرآن" أي يمتثل ما أمر به وطلب منه في القرآن.

**الثالث**: صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى المعنى المرجوح، وهذا نوعان:

الأول: إن كان ذلك الصرف يدل عليه دليل صحيح أو قرينة لفظية صحيحة فإنه يسمى التفسير وقد سبق.

الثاني: أن يكو ذلك الصرف لا يدل عليه دليل، بل هو مجرد هوى فهذا هو التحريف فالأول محمود والثاني مذموم.[٢]

**قال ابن خزيمة** رحمه الله بعدما سرد الآيات التي تدل على استواء الله على عرشه: فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله ولا نقول قولا غير

---

(١) سورة يوسف١٠٠

(٢) من مقدمة شرح الواسطية لمحمد خليل هَرّاس

الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة الجهمية: إنه استولى على عرشه، لا استوى، فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا حطة فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية،[١] **فإذا** قال الأشعري -مثلا- في قوله ﷺ: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا" أي ينزل أمره لا أن الله الذي ينزل بذاته، قلنا له أنت أثبت شيئا، ونفيت شيئا آخر، ما الدليل على ما أثبتَّ وعلى ما نفيتَ؟ مع أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى هو الذي ينزل بذاته، فإن أتى بدليل -وأنى له- قلنا بما قال، وإذا لم يأت بدليل -وهذا هو الواقع- قلنا له صرفت اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بدون دليل، وهذا لا يجوز لأمور:

الأول: أن العمل بالمرجوح مع وجود الراجح ممتنع شرعا، لكونه قولا بلا علم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[٢].

الثاني: أن العمل بالمرجوح مع وجود الراجح ممتنع عقلا، الثالث: أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على العمل بما ترجح عندهم من الأخبار، الرابع: أن الواجب هو البقاء على المعنى الظاهر المتبادر.[٣] قوله "**ولا تفويض**" التفويض لغة الرد، تقول: فوَّضت الأمر إليه، أي رددته.

واصطلاحا: فهو صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى المراد، بل يترك ويفوّض علمه إلى الله تعالى بأن يقال: الله أعلم بمراده.

**والتفويض قسمان:**

**الأول:** تفويض المعنى: وهو السابق ذكره وهذا مذموم.

---

(١) كتاب التوحيد٨٩

(٢) الأعراف٣٣

(٣) انظرمختصر الصواعق المرسلة

**الثاني**: تفويض الكيف وهو أن يقول: الله أعلم كيف هو وكيف استوى.... الخ وهذا هو مذهب السلف.

**قال الإمام الترمذي**رحمه الله في تعليق حديث رقم ٦٦٢: وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويُؤمن بها ولا يُتوهم ولا يقال كيف هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن مبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أَمِرُّوها بلا كيف وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول: كيف ولا يقول مثلُ سمعٍ فهذا لا يكون تشبيها وهو كمال قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1] انتهى

**ومن الخطأ الفاحش** القولُ بأن القسم الأول هو مذهب السلف كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرءون كلاما لا يفهمون معناه، بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة ويثبتونها لله عز وجل، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كيفيتها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على العرش: "الاستواء معلوم والكيف مجهول" وقال مجاهد ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٥٩﴾[2] . أي علا على العرش وقال أبو العالية استوى أي ارتفع: [3] قوله: "**ولا تمثيل**" التمثيل هو من المثل وهو الشبه والنظير، وهو في

---

(١) الشورى ١١

(٢) الفرقان ٥٩

(٣) أخرجه البخاري في "باب: وكان عرشه على الماء

باب الأسماء والصفات بمعنى الاعتقاد في صفات الخالق أنها مثل صفات المخلوقين، وليس إثبات الصفة تشبيها.

**قال نعيم بن حمّاد** شيخ البخاري من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل،[١] قوله: "**ولا تعطيل**" التعطيل في اللغة من العطل الذي هو الفراغ والخلو، والترك، قال تعالى: ﴿وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ﴾ أي أهملها أهلها وتركوا وِردَهَا والمراد به هنا نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالى، وهو نوعان:

**تعطيل كلي**: وهو ما عليه نُفاة الأسماء والصفات، من الجهمية والفلاسفة، تعطيل جزئي: وهو ما تعلق بنوع، كالمعتزلة النافين للصفات دون الأسماء، والأشاعرة والماتردية النافين لبعض الصفات دون بعض، ولو قال بدل قوله "ولا تعطيل" ولا تكييف لكان أحسن كما لا يخفى، التكييف: هو اعتقاد أن صفات الخالق على كيفية كذا أو يسأل عنها بكيف.

**فتوحيد الأسماء والصفات** هو ما خلا فيه الأسماء والصفات الثابتة عن الله ورسوله عن هذه المحاذير الأربعة-التأويل والتفويض والتمثيل والتكييف- فمن نفى صفات الرب جل جلاله وعطلها فقد كذبَّ تعطيلُه توحيدَه، ومن شبهه بخلقه ومثّله بهم فقد كذَّب تشبيهه وتمثيله توحيدَه[٢]

**والحاصل** أن مذهب السلف بين المذهبين وهدى بين ضلالين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات فقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ ردٌّ على أهل التشبيه وأهل التعطيل فالممثل أعشى والمعطل أعمى، الممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما.

---

(١) رواه اللالكائي ٩٣٦وعنه ابن تيمية في الواسطية وصححه الألباني في "مختصر العلو"

(٢) من اجتماع جيوش الإسلامية لابن القيم

**س١٠: أين الله؟ ج: الله فوق العرش على السماء، قال تعالى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]. أي علا وارتفع كما جاء في البخاري **وقال ﷺ: إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش:** متفق عليه

*الشرح:* وهذه الفقرة داخلة في الفقرة السابقة أعادها إشارة إلى أن السؤال بأين الله مشروع فقد ورد في صحيح مسلم أن النبي ﷺ، قال: لجارية أين الله؟ قالت في السماء قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله قال _أي لصاحبها_ "أعتقها فإنها مؤمنة"(١)

ولا يقال: مراد المصنف التفصيل بعد الإجمال وليس مراده إشارة مشروعية السؤال بأَيْنَ لأنا نقول: ولوكان كذلك لاستوعب المجمل ولم يستوعب، وعلى تسليم الدعوى فلا منافاة لأن تعدد العلل لمعلول واحد سائغ، ويحتمل أن يكون مراده بالفقرة الأولى إ ثبات استواء الله على عرشه، وبالثانية إثبات علوه سبحانه على مخلوقاته، وبينهما فرق فالأول صفة فعل معلقة بمشيئته، والثاني صفة ذات لا تنفك عنه والله أعلم بالصواب.

**وأما فوقيته سبحانه** فأهل السنة والجماعة يثبتونها له سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته مستدلين في ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

**أما الكتاب** فقد يدل عليها بأسلوب متنوعات، تارة بذكر الفوقية كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ (٢) وتارة بذكر نزول الأشياء من عنده كقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ۝٥﴾(٣).وتارة بذكر صعودها إليه كقوله

(١) أما تضعيف بعض متأخر الجهمية لحديث الجارية فقد أجابه صاحب "تكحيل العينين بجواز السؤال عن الله بأين" فقد أجاد وأفاد فالتراجع الرسالة.

(٢) الأنعام١٨

(٣) السجدة٥

تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۝١٠﴾ [(١)]. وتارة بذكر العلو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [(٢)].

**وكذلك السنة** تنوعت دلالاتها على فوقية الله سبحانه فتارة من قول النبيﷺ: وتارة من فعله وتارة من تقريره أما قولهﷺ: فكقولهﷺ: ألا تأمنوني وأنا آمن من في السماء.[(٣)] وكما في الحديث الذي أورده المصنف، وأما فعلهﷺ: فكرفع أصبعه إلى السماء ونكتها إلى الناس، روى مسلم رحمه الله: عن جابر بن عبد الله في قصة حجة الوداع حديثا طويلا وفيه وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم تُسألون عنّي فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد ثلاث مرات[(٤)] وأما تقريرهﷺ: فكحديث الجارية الذي رواه مسلم.

**وأما الإجماع** فقد أجمع السلف على أن الله في السماء، روى البيهقي بإسناد صحيح إلى الأوزاعي قال: كنّا والتابعون متوافرون إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته، وقال ابن عبد البر في "التمهيد" علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل، قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ۝٧﴾[(٥)] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به[(٦)]

---

(١) فاطر ١٠
(٢) البقرة ٢٥٥
(٣) رواه البخاري ومسلم
(٤) مسلم رقم الحديث ١٢١٨
(٥) المجادلة ٧
(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية ٨٤-٨٥

**وقال شيخ الإسلام**: فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله وعامة كلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه فوق السماوات مستو على عرشه.[1]

**وأما العقل** فإن العاقل لا يتصور خالقه أنه في السفل، فتعين أنه في العلو، ولأن العلو صفة كمال فوجب أن يكون ثابتا لله.

**وأما الفطرة** فبضرورة انصراف قلب العبد إلى السماء حينما فاجأه أمر مهم.

**وأما المعطلة** فقد أنكروا علو الله زاعمين بأن إثبات العلو يلزم منه كون الله في جهة، ويلزم من كونه في جهة كونه محدودا وجسما.

**والجواب** عن الجسم أن تصور الجسم المركب من عظم ولحم وجلد منه سبحانه باطل ومنتف عنه، لأن الله ليس كمثله شيء.

**وأما الحد** فهو على قسمين:

**الأول**: يراد به أن شيئا من مخلوقاته يحيط به وهذا باطل منتف عن الله.

**والثاني**: يراد به أن الله بائن من خلقه غير حالّ فيه وهذا حق وصدق، وذلك مع أننا لا نطلق لفظ الحد على الله نفيا وإثباتا، لعدم ورود ذلك.

**وأما الجهة** فهو على قسمين أيضا:

**الأول**: أن يراد به أنه سبحانه له جهة تحيط به، وهو باطل وليس بلازم من إثبات علوه سبحانه.

**والثاني**: أنه سبحانه في جهة علو لا تحيط به، وهذا حق لا يجوز نفيه عن الله ﷻ.

(١) مجموع الفتاوى وعنه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ٤٤

**س١١: هل الله معنا؟ ج: الله معنا بسمعه ورؤيته وعلمه قال تعالى:** ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [سورة طه:٤٦] **وقالﷺ: إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم)** أي بعلمه: رواه مسلم

*الشرح:* أعاد هذه الفقرة أيضا مع أنها داخلة في حيز الكاف في قوله "**كالاستواء والنزول**" إيذانا إلى أن علو الله لا يناقض معيته، ووجهه أن النصوص جمعت بينهما فيمتنع أن يكون اجتماعهما محالا، لأن النصوص لا تدل على محال، وأنه لا منافاة بين العلو والمعية فإن المعية لا تستلزم الاختلاط والحلول في المكان كما سيأتي فقد يكون الشيء عاليا بذاته وتضاف إليه المعية، كما يقال "مازلنا نسير والقمر معنا "مع أن القمر في السماء ولا يعد ذلك تناقضا لافي اللفظ ولافي المعنى، فإن المخاطب يعرف معنى المعية هنا، وأنه لا يكون مقتضاها أن القمر في الأرض، فإذا جاز اجتماع العلو والمعية في حق المخلوق، ففي حق الخالق أولى.

**معية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة**

فالخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

أما العامة، فهي التي تشمل كل أحد من المؤمن والكافر ودليلها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤﴾[1].

وأما الخاصة المقيدة بوصف فمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾[2].

(١) سورة الحديد ٤

(٢) سورة النحل ١٢٨

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين، فمثل قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾(١)

فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علما وقدرة وسلطانا وغير ذلك من معاني ربوبيته والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد..

والمعية العامة من الصفات الذاتية، لأن مقتضياتها ثابتة لله أزلا وأبدا وأما المعية الخاصة فهي من الصفات الفعلية لأن مقتضياتها تابعة لأسبابها توجد بوجودها وتنتفي بانتفائها.

**ثم إن المعية في اللغة** -كما قال شيخ الإسلام- مدلولها مطلق المصاحبة ثم هي يختلف حكمها ومقتضاها بحسب ما تضاف إليه فقد تقتضي الاختلاط وقد تقتضي المصاحبة في المكان، وقد تقتضي مطلق المصاحبة وإن اختلف المكان.

مثال المعية التي تقتضي المخالطة أن يقال: لبن مع ماء، أي مخلوط به، ومثال المعية التي تقتضي المصاحبة في المكان: قولك: وجدت فلانا مع فلان يمشيان جميعا وينزلان جميعا. ومثال المعية التي لا تقتضي الاختلاط ولا المشاركة في المكان: قولك فلان مع جنوده وإن كان هو في بيته لكن يوجههم فهذا ليس فيه اختلاط ولا مشاركة في مكان.

**وقد فسر بعض السلف** معية الله بلازمها فقالوا إنها كناية عن العلم، وغرضهم بذلك -كما قال ابن عثيمين في فتح رب البرية-الرد على الحلوليَّة الذين قالوا إن الله بذاته في كل مكان واستدلوا بنصوص المعية- فبين هؤلاء السلف أنه لا يراد من المعية كون الله معنا بذاته فإن هذا محال لأنه ينافي ما وجب من علوه، ويقتضي أن تحيط به مخلوقاته وهو أمر محال وإلا فإن معيته سبحانه لا تختص بالعلم بل هي شاملة لمعاني ربوبيته كلها.

واختار ابن عثيمين رحمه الله كشيخ الإسلام رحمه الله أن هذه المعية على حقيقتها وأن كونه سبحانه معنا حق على حقيقته، لكن ليست معيته كمعية الإنسان التي يمكن أن يكون

---

(١) سورة طه ٤٦

الإنسان مع الإنسان في المكان، لأن معية الله ثابتة له وهو في علوه، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون معنا في الأمكنة التي نحن فيها.

ولما فرغ من إحدى العنوانين، بدأ بعنوان أخرى فقال رحمه الله:

**س١٢ : ما هي فائدة التوحيد؟ ج: فائدة التوحيد هي الأمن في الآخرة من العذاب والهداية في الدنيا وتكفير الذنوب قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾** [سورة الأنعام:٨٢] بظلم: أي بشرك **وقال ﷺ: حق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا : متفق عليه**

*الشرح:* فوائد التوحيد كثيرة ذكر المصنف رحمه الله فائدتين منها قوله:" **فائدة التوحيد هي الأمن في الآخرة والهداية في الدنيا"** أي من فوائده الأمن والهداية، قوله تعالى: "**﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾**" أي هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا إلى الصراط المستقيم، وهذا الأمن والهداية ينقسم إلى قسمين تام وناقص، وذلك بحسب عدم لبسهم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانه بظلم مطلقا لا بشرك ولا بمعاص حصل له الأمن التام والهداية التامة، وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده ولكنهم يعملون السيئات حصل لهم أصل الهداية وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالهما قوله: " **بظلم أي بشرك"** لما ورد في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت "الَّذِينَ آمَنُوْ وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ الآية" قال الصحابة رضي الله عنهم وأينا لم يظلم نفسه؟ فنزلت "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ"(١) أي فالمراد بالظلم أعلى أنواعه وهو الشرك، وقوله ﷺ، **"حق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"** أي ما سيوجد لا محالة أو ما وجب بوعده الصادق، وقد

(١) أحرجه البخاري برقم٣٢ ومسلم برقم١٢٤

مضا معنا تمسك المعتزلة بظاهر الحديث على أن على الله الصالح والأصلح مع الرد عليهم في "باب حق الله على العباد".

## شروط قبول العمل

**س١٣ :ماهي شروط قبول العمل؟ ج: شروط قبول العمل عند الله ثلاثة**

*الشرح:* جعل المصنفرحمه الله شرط قبول العمل ثلاثة:

١ الايمان بالله وتوحيده ٢ الإخلاص ٣ الإتباع

لكن الواقع اثنان، لأن الأول موجود في الثاني، فالإيمان بالله وتوحيده، عين الإخلاص أو داخل فيه، ولذلك جعله غيره من المصنفين اثنين والله أعلم.

**هذا والأحسن** حذف هذه الترجمة وذكر المسألة بغير الترجمة كالتي قبلها بل الأحسن منه جعل الترجمة للأولى لأن الأولى تعم الثانية والثانية جزء منها لأنها من جملة فوائد التوحيد ولا وجه لذكر شرط قبول العمل هنا إلا لأن فيه فائدة من فوائد التوحيد والله أعلم.

**١الأيمان بالله وتوحيده قال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [سورة الكهف:١٠٧] **وقالﷺ: قل آمنت بالله ثم استقم:** رواه مسلم

*الشرح:* مفهوم الآية أن كون الجنة نزلا لمن يعمل الصالحات مشروط بإيمانه وكذلك قوله: **"ثم استقم"** دليل على أن الاستقامة لا يتحقق إلا بعد الا يمان لأن ثم تقتضي الترتيب.

تمام الحديث: عن سفيان بن عبد الله الثَّقفِي قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ: "غَيْرَكَ" قَالَ: "قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ.

**والاستقامة إتباع الدين** بفعل الطاعات واجتناب المحرّمات ولزوم الصراط المستقيم برعاية حد الوسط، فالإسلام إيمان بالله وحده دون سواه، ثم استقامة على منهج الله وشرعه من غير إفراط أو تفريط، قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، ولا يبالي بأيّهما ظفر.

**٢الإخلاص: وهو العمل لله من غير رياء ولا سمعة، قال تعالى:** ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [سورة الزمر:٢] **٣ الموافقة لما جاء به الرسول ﷺ: قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [سورة الحشر:٧]. **وقالﷺ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد،** اي مردود: رواه مسلم

*الشرح:* إخلاص العمل لله واتباع ما جاء به رسول اللهﷺ هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وكل عمل يتقرب به إلى الله لابد أن يكون خالصا لله ومطابقا لسنة رسول الله ﷺ: فإذا فقد الإخلاص لم يقبل العمل، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ (١). ولقوله تعالى: في حديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه" (٢) وإذا فقد الإتباع رد العمل، لقولهﷺ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وفي رواية: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". والجملة الأولى أعم من الثانية لأنها تشمل مَن فعل البدعة وهو محدث لها، ومن فعلها متابعا لغيره فيها.

(١) سورة البينة ٥
(٢) صحيح مسلم ٢٩٨٥

ولا يقال: إن العمل إذا كان خالصا لله، ولم يكن مبنيا على السنة، وكان قصد صاحبه حسنا أنه محمود ونافع لصاحبه، فمما يدل على ذلك أن النبي ﷺ قال للصحابي الذي ذبح أضحيته قبل صلاة العيد: "شاتك شاة لحم"(١) فلم يعتبرها النبيﷺ أضحية، لأنها ذبحت قبل ابتداء وقت الذبح.

## الشرك الأكبر

**س١٤: ما هو أعظم الذنوب عند الله؟ ج: أعظم الذنوب الشرك بالله والدليل قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [سورة لقمان:١٣] **ولما سئل رسول اللهﷺ: "أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك" متفق عليه الند الشريك**

*الشرح:* ذكر المصنفرحمه الله في هذا الباب الشرك الأكبر وأضراره ثم ذكر الأصغر في باب مستقل والأولى أن يجعلهما في باب واحد ويقول: أنواع الشرك وأضراره، ثم يفصِّل كما فعله في أنواع التوحيد، والله أعلم.

**وعلى كل حال فالشرك بالله نوعان:** أكبر وأصغر فأما الأكبر هو اتخاذ الند في الربوبية والأسماء والصفات والألوهية، أما الشرك في الربوبية ينقسم على نوعين:

**النوع الأول:** شرك تعطيل، كتعطيل المصنوع عن صانعه، ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم، وأنه لم يكن معدوما أصلا، تعطيل الصانع سبحانه، عن أفعاله كمنكر إرسال الرسل ومنكر القدر ومنكر البعث والنشور.

**النوع الثاني:** شرك الأنداد من غير تعطيل، كشرك المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور وحوادث الشر إلى الظلمة، وشرك القدرية القائلين بأن العبد هو الذي يخلق

(١) والحديث متفق عليه

أفعال نفسه وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وعلمه، وكشرك دعوى التصرف في الكون كمشرك قوم إبراهيم الصابئة، والمتصوفة القائلين بالغوث والقطب، وكدعوى التأثير في الكون من النجوم والتمائم.

**أما الشرك في توحيد الأسماء والصفات**: فهو على ضربين أيضا:

**الأول**: شرك التعطيل وذلك بتعطيل الصانع عن كماله المقدس، كالجهمية الغلاة والقرامطة الذين أنكروا أسماء الله عز وجل وصفاته.

**والثاني**: شرك الأنداد، وذلك بإثبات صفا ت الصانع للمخلوق، كالتمثيل في صفاته كمن يدعي علم الغيب لأحد غير الله سبحانه، ويدخل في ذلك التنجيم، أو بإثبات صفات المخلوق للصانع كاليهود المغضوب عليهم الذين شبهوه بصفات المخلوقين وهكذا النصارى في قولهم بالبنوة والأبوة ويدخل في ذلك كل من شبه الله بخلقه.

**وأما الشرك في توحيد الألوهية**: فهو صرف العبادة لغير الله معه ويدخل فيه الشرك في الأفعال، والأقوال، والإرادة والنية.

**فالشرك في الأفعال** كالسجود لغيره، والطواف بغير الكعبة، وتقبيل القبور والسجود لها ولقد لعن النبي ﷺ: من اتخذ قبور الأنبياء مساجد يصلي لله فيها، فكيف بمن اتخذها أوثانا يعبدها من دون الله؟

والشرك في الأقوال كالحلف بغير الله تعظيما كتعظيم الله، وإلا فهو من الشرك الأصغر وكالنطق بكلمة التوحيد مع الشرك فيه، كما يفعله مشرك العرب في التلبية حيث يقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

والشرك بالإرادة كالاستغاثة بغير الله **وأما الشرك الأصغر** فسيأتي بيانه إن شاء الله، قوله: "**ما هو أعظم الذنوب عند الله؟**.." يتضح عظمة الشرك من صراحة قول الله عز وجل ورسوله ﷺ: كما في الآية والحديث الذين جاءا في المتن، ومن حيث اقترانه بأعظم أمرٍ

أمرَ الله به وهو عبادة الله التي من أجلها خلق الخلق، وذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ۝٣٦﴾(١) قال ابن القيم رحمه الله: فلما كان الشرك أكبر شيء منافاة للأمر الذي خلق الله له الخلق وأمر لأجله بالأمر كان أكبر الكبائر عند الله(٢)

ومن حيث كونه أول المحرمات كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٥١﴾(٣).

ومن حيث إنه مخرج من الملة وصاحبه حلال الدم والمال وفي الآخرة مخلد في النار، قال تعالى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ۝٥﴾(٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾(٥) وغير ذلك من المفاسد والأضرار أعاذنا الله منه.

---

(١) النساء٣٦
(٢) الداء والدواء ١٦٧
(٣) الأنعام١٥١
(٤) التوبة٥
(٥) المائدة٧٢

ولما فرغ من بيان عظم الشرك شرع في تعريف ماهيته فقال رحمه الله:

**س١٥ : ما هو الشرك الأكبر؟ ج: الشرك الأكبر هو صرف العبادة لغير الله كدعاء غيره والاستغاثة بالأموات أو الأحياء الغائبين قال تعالى:** ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [سورة النساء:٣٦]. **وقال ﷺ: من أكبر الكبائر الشرك بالله:** رواه البخاري

*الشرح:* لو جعل المصنف هذه الفقرة في صدر الباب لكان أحسن لأنها تعريف والتعريف مقدم عن الحكم، يقول العلماء: الحكم بالشيء فرع عن تصوره، قوله: **هو صرف العبادة لغير الله"** تعريف لبعض أفراد الشرك والصواب ما قدمناه والله أعلم قوله: **"كدعاء غير الله والاستغاثة بالأموات"** هذه وأمثالها هي الشرك في العبادة التي تتم بالإرادة واللسان وستأتي بمزيد بسط إن شاء الله قوله:" **أو بالأحياء الغائبين"** قيد مخرج للاستغاثة بالأحياء الحاضرين فيما يقدرون عليه، كما سيأتي في الاستعانة، قوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ٣٦﴾[1] فيه دليل على أن عبادة غير الله معه شرك، أما قوله ﷺ: **"من أكبر الكبائر الشرك بالله"** فلم يظهر لي وجه إيراده فيما نحن بصدده، وهو كون الشرك صرف عبادة لغير الله، لأنه لا يدل على الموضوع وإنما يدل على عظمة الشرك فحسب فالأحسن –والله أعلم– أن يورده في الفقرة التي قبل هذه الفقرة ويورد هنا قوله ﷺ، حينما جاء إليه رجل فقال: دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار **"تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة..."** [2]

(١) النساء٣٦

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان رقم الحديث ١٣

**س١٦ : هل الشرك موجود في هذه الأمة؟ ج: نعم موجود والدليل قوله تعالى** ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦﴾ [سورة يوسف:١٠٦].
**وقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد الأوثان** صحيح :رواه الترمذي

*الشرح:* مراد المصنف بهذه الفقرة الرد على من يقول إن الشرك لا يمكن أن يقع في هذه الأمة المعصومة وأنكروا كون عبادة القبور من الشرك، مستدلين بأحاديث، منها حديث جابر عن النبي ﷺ، قال: "إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم"(١) ومنها حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ، قال: وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها.

**والجواب** عن الحديث الأول أن يأس الشيطان منصب على اجتماعهم كلهم على الكفر لا على وجود الردة من أفرادهم إضافة أن اليأس من جانب الشيطان حسب ظنه وتخمينه لا عن علم والعلم بالغيب مختص لله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ۝٣٤﴾(٢).

وقد صح عن النبي ﷺ: ما يخالف ظنه، ومما صح عنه ﷺ: ما أورده المصنف أنه قال:" لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان"(٣)

ومنه قوله ﷺ: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى"(٤) وقد وقع الارتداد

---

(١) رواه مسلم
(٢) سورة لقمن ٣٤
(٣) رواه الترمذي رقم الحديث٢٢١٩ ورواه أبوداود رقم ٤٢٥٢
(٤) رواه مسلم

بعد وفاته ﷺ: والواقع خير شاهد وأما الحديث الثاني: فجوابه أنه يحمل على أن الشرك لا يقع في جميع الأمة، ولا يمنع هذا وقوعه من بعضها، أو أن النبي ﷺ، قاله قبل أن يوحى إليه بأن الشرك سيقع في بعض أمته، وبه تجمع الأدلة المثبتة والنافية، وأما قول الله: **"وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُوْنَ "** نزلت في المشركين الذين اعترفوا بتوحيد الربوبية وأشركوا في الألوهية، فلا يتم الاستدلال إلا بإضافة حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُم" (١)

**س ١٧ : ما حكم دعاء الأموات أو الغائبين؟ ج: دعاء الأموات أو الغائبين من الشرك الأكبر قال تعالى:** ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [سورة يونس:١٠٦]. أي المشركين، **وقال ﷺ: من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**: رواه البخاري

الشرح: قوله "**أو الغائبين**" احترز به عن دعاء الحاضرين فدعاء الحاضرين له ما يخصه من الحكم كما سيأتي في الاستعانة.

**أما كون دعاء الأموات والغائبين** من الشرك الأكبر فثابت بالكتاب والسنة والإجماع:

**أما الكتاب**: فقد تنوعت دلالاته عليه فتارة بوصف من دعا غير الله بالظلم كالآية التي أوردها المصنف، فلما نهى الله ﷻ نبيه ﷺ من دعاء مالا ينفعه ولا يضره بين له من مغَبَّة ذلك الفعل لو فعله، فقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِيْنَ﴾ دليل على أنه لو فعله كان من المشركين الظالمين لأنفسهم بإيرادها موارد المهالك وهذا الظلم هو الشرك

(١) صحيح البخاري ٧٣٢٠

كما قال تعالى: "إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" وقوله:" مَالاَ يَنْفَعُكَ..." إشارة إلى وجه النهي عن دعائه غير الله إذ دعاء ما لا يضر ولا ينفع لا يقصده العاقل.

وغرض هذا الفرض تنبيه الناس على فظاعة هذا الفعل حتى لو فعله أشرف الخلق لكان من الظالمين.

وتارة بتوعد من دعا غير الله بالعذاب والهلاك، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾[1] .......

**وأما السنة:** فقد تنوعت دلالاتها أيضا على كفر من دعا غير الله تارة بدلالتها على أن من دعا غير الله تعالى فقد جعله ندا له ﷻ ويدخل النار دخولا مؤبدا فمنها حديث ابن مسعودرضي الله عنه الذي أورده المصنف قال: قال النبيﷺ: كلمة وقُلت أخرى قال النبيﷺ: "من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار" وقلت أنا من مات وهو لا يدعو لله ندا دخل الجنة.[2]

وتارة بدلالتها على وجوب إفراد الله بالدعاء والاستعانة فمنها حديث ابن عباسرضي الله عنهما في وصية النبيﷺ، له:" إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"[3].....

**وأما الإجماع:** فقد قال شيخ الإسلامرحمه الله: فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقة فهو كافر بإجماع المسلمين[4]

**ومن دعاء الأموات** والغائبين دعائهم طلبا منهم أن يدعوا الله تعالى ويشفعوا لمن يدعوهم، ولا يقال إن الداعي لم يطلب من الأموات فعل ما لا يقدره إلا الله إنما طلب

---

(١) المؤمنون١١٧

(٢) أخرجه البخاري في التفسير رقم الحديث٤٤٩٧

(٣) أخرجه الترمذي رقم الحديث٢٥١٦ وصححه الألباني

(٤) الفتاوى ١/١٢٤

منهم ما في مقدوراتهم، لأنه وإن لم يطلب منهم ما لا يقدرونه لكنه قد اعتقد أنهم يسمعون نداءه ويعلمون حاله وهم غائبون.

## شبهات وجوابها

وقد أثار القبوريون المبيحون الدعاء والاستغاثة بالأموات شبهاتٍ كبيت العنكبوت

**فمنها قولهم**: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم ليس عبادة لهم، فلا يكون شركا ولا تحتويه النصوص الدالة على منع دعاء غير الله، لأن المراد بالدعاء في تلك النصوص هو العبادة وليس بمعنى السؤال والنداء والطلب، والدعاء بمعنى النداء والسؤال معناه التوسل والتشفع فقط لا العبادة، فلا يمنع صرفه لغير الله.

الجواب: إن هذا الزعم مصادم للنصوص التي سمت دعاء المسألة عبادة فمنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (١) .والمراد بقوله: دَعَوُا۟ ٱللَّهَ دعاء المسألة كما هو الظاهر، ووجه الدلالة على كون هذا الدعاء عبادة مأخوذ من قوله: مُخْلِصِيْنَ ومن قوله: إِذَا هُمْ يُشْرِكُنَ فلا يوصف العبد بالإخلاص والإشراك إلا بعبادته، ومنها قوله ﷺ: الدعاء هو العبادة.

ثم على تسليم أن المراد بالدعاء في الآيات العبادة فلا بد من دخول دعاء المسألة في العبادة دخولا أوليا بل في ضمنه عبادات فهو يتضمن الرجاء والخوف والتوجه إلى الله والارتماء بين يديه وغير ذلك، وإذا كان كذلك فأي عبادة فوق هذه العبادات؟

**ومنها قولهم**: إن تلك النصوص إنما وردت في من يعبد الأصنام فقط.

والجواب عنه: أن من عبد غير الله فقد جعل معبوده وثنا فأي فرق بين من عبد الأصنام وعبد الأولياء إذ إن الجميع لا يغني شيئا عن عابديه إضافة أن المشركين الذين وردت فيهم تلك النصوص ليس كلهم يعبدون الأصنام فإن منهم من يعبد الأنبياء والجن والملائكة

---

(١) العنكبوت ٦٥

ودليله قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾(١). فالآية وردت في العقلاء وإن اختلف المفسرون في تعيينهم هل هم الجنيون أم الملائكة أم الأناس.

ومن الشبهات قولهم: إن كفر هؤلاء المستغيثين بالأموات من الكفر العملي ككفر تارك الصلاة.

والجواب عنه: أن الدعاء يستلزم الاعتقاد بصفات الربوبية والألوهية، وإلا فما الحامل على دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وإذا ثبت أن الحامل هو الاعتقاد فكيف يقال إنه كفر عملي.

والحاصل أن دعاء الأموات ومثله كسبّ الدين والهزل به مما يعمل بالجوارح ليست هي من الكفر العملي إلا من جهة كونها واقعا بعمل الجوارح فيما يظهر للناس ولكنها لا تقع إلا مع عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والانقياد، ولذلك لم يقبل الله عذر المنافقين في غزوة تبوك حين قالوا ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾ وكذبهم في ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ (٢) وبهذا يعرف أن العمل الذي يستلزم الاعتقاد لا يعد من الكفر العملي.

ولهم شبهات أخرى مذكورة مع جوابها في المطولات فالتراجع.

**وهناك شيء آخر:** وهو تحري الدعاء عند قبر نبي أو صالح، فهو بدعة منكرة وذريعة إلى الشرك، ومما يدل عليه أن النبيﷺ، نهى عن اتخاذ القبور مساجد فعن ابن عباسرضي الله عنه قال: لما نزل برسول اللهﷺ، طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما

(١) الإسراء٥٧

(٢) التوبة٦٦

صنعوا[١] وعلة نهيه ﷺ، عن الصلاة في القبور كون ذلك يؤدي إلى الفتنة بها، والدعاء فيها أولى بالنهي من الصلاة لأن الفتنة به أشد منها في الصلاة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: إن العلة التي نهى النبي ﷺ، لأجلها عن الصلاة عندها إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع الشرك بقصدها وبالعكوف عليها وتعلق القلب بها رغبة ورهبة ومن المعلوم أن المضطر في الدعاء الذي قد نزلت به نازلة فيدعو لاستجلاب خير كالاستسقاء، أو لدفع شر كالاستنصار فحاله بافتتانه بالقبور إذا رجى الإجابة عندها أعظم من حال من يؤدي الفرض عندها في حال العافية، فإن أكثر المصلين في حال العافية لا تكاد تفتتن قلوبهم بذلك إلا قليلا، أما الداعون المضطرون ففتنتهم بذلك عظيمة جدا، فإذا كانت المفسدة والفتنة التي لأجلها نهي عن الصلاة عندها متحققة في حال هؤلاء كان نهيهم عن ذلك أوكد وأوكد[٢]

ويدل عليه أيضا اتفاق العلماء -ومنهم الأئمة الأربعة- على أن من زار قبر النبي ﷺ، وأراد أن يدعو لنفسه لا يستقبل إلى القبر، إنما يستقبل إلى القبلة، وإذا كان كذلك في قبر النبي ﷺ، فكيف بقبر غيره ممن هو دونه؟

هذا في التحري وأما ما وقع اتفاقا كمن جاء إلى القبر للزيارة فسلم ودعا لأهل المقبرة ثم دعا لنفسه فلا بأس به.

**ولما فرغ المصنف** عن حكم دعاء الأموات والغائبين شرع في جواب سؤال مقدر، تقديره إنكم قد حكمتم بشرك من دعا الأموات والغائبين فما وجه كون الدعاء شركا؟ فأجاب رحمه الله بأنه عبادة لا يستحق إلا لله فقال:

---

(١) أخرجه البخاري ٤٣٥

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠٣

**س١٨ : هل الدعاء عبادة؟ ج: نعم الدعاء عبادة قال تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر: ٦٠] **وقالﷺ: الدعاء هو العبادة:** رواه احمد وقال الترمذي حسن صحيح

الشرح: الدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة أما دعاء العبادة فهو والعبادة سيان وتعريفه كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة، ويدخل فيه دعاء المسألة لأن تعريف العبادة يشمل الدين كله.

**وأما دعاء المسألة**–وهو المقصود هنا– فتعريفه طلب العبد جلب مرغوب أو دفع مرهوب، ويدخل فيه الاستغاثة والاستعانة والاستعاذة. قال الخطابي رحمه الله: ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية واستمداده إياه المعونة وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة.[١] فمما ورد استعماله في معنى العبادة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[٢].

فالنوع الثاني داخل في النوع الأول دخولا أوليا بل فيه يجتمع من العبادات ما لا يجتمع في غيره، يجتمع فيه من أعمال القلوب وأعمال اللسان والجوارح.

أما أعمال القلوب فكتوجه القلب إلى المدعو ورجاء إجابته والتوكل والاعتماد عليه في قضاء الحوائج، وأما أعمال اللسان فكذكر المدعو وندائه والاستغاثة به.

وأما أعمال الجوارح فكالتضرع ورفع الأيد إلى السماء، ولذلك سماه الله عبادة فقال سبحانه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ

---
(١) وعنه في "الدعاء ومنزلته"
(٢) الأعراف ١٩٤

دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾[١]. وقال عنه النبيﷺ: " الدعاء هو العبادة" بصيغة الحصر وفي رواية مخ العبادة.

**ويدخل هذا النوع** أيضا في توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

أما دخوله في توحيد الربوبية فبضرورة أن الداعي لا يدعو إلا من اعتقد أنه يقدر أن يتصرف في الكون ويغير الأحداث من الصعب إلى السهل ومن الضيق إلى السعة، إذ العاجز عن التصرف لا يوجه إليه طلب التصرف عند من له عقل، ولهذا عاب الله المشركين الذين يدعون مالا ينفعهم ولا يضرهم فقال تعالى: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾[٢] .

وأما دخوله في توحيد الأسماء والصفات، فمن مقتضيات الدعاء اعتقاد الداعي صفة الكمال كالعلم والسمع والبصر للمدعو، وذلك لأن من شأن الداعي أن يعتقد أن المدعو يعلم بدعائه وما هو فيه من الكرب والشدة والهم وما يخطر بباله، ويعتقد أن المنادى المستغاث به يسمع استصراخه ومناجاته ويرى تضرعه وانكساره، ولكون هذا من مقتضيات الدعاء عاب إبراهيم –عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم– قومه لدعائهم الأصنام التي لا تسمع، قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾[٣]

**ويعلم من هذا كله** أن الشرك في الدعاء شرك في أنواع التوحيد الثلاثة والله أعلم.

---

(١) سورة غافر ٦٠

(٢) الحج١٢

(٣) سورة الشعراء٧٣

**س١٩ : هل يسمع الأموات الدعاء؟ ج: لا يسمعون قال الله تعالى:** ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٨٠﴾ [سورة النمل:٨٠]. **قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٢٢﴾ [سورة فاطر:٢٢].

*الشرح:* اختلف العلماء في سماع الأموات فقال قوم -منهم ابن القيم رحمه الله كما في كتابه "الروح"- على أن الأصل سماعهم، وقال قوم -منهم الألباني رحمه الله كما في مقدمته لكتاب "الآيات البينات في عدم سماع الأموات" لنعمان الآلوسيّ-الأصل عدم سماعهم إلا فيما دل الدليل عليه.

ودليل القول الثاني الآيتان اللتان أوردهما المصنف، ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول، فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق"، ثم قرأت قولَه تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٥٢﴾حتى قرأت الآية.[1] وفي رواية عند البخاري: قال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" قال قتادة: "أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما"[2]

والشاهد إقراره صلى الله عليه وسلم عمر ومن معه على فهمهم للآية على ذلك الوجه الشامل لموتى القليب وغيرهم، لأنه لم ينكر عليهم ولا قال لهم: أخطأتم، ولكن بين لهم ما خفي عليهم من شأن القليب وأنهم سمعوا كلامه، وأن ذلك أمر خاص مستثنى من الآية.

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث ٣٩٨٠.

(٢) وبقول قتادة يجمع بين قول ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم قال البيهقي: العلم لا يمنع من السماع، والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكن الله أحياهم حتى سمعوا كما قال قتادة. ذكره الحافظ في الفتح عند شرح حديث رقمه ٣٩٧٩

وكذا قول النبي ﷺ إنهم الآن يسمعون دليل على أنه سماع مخصوص في وقته ومعجزة خاصة للنبي ﷺ في ذلك الوقت كما قال قتادة "أحياهم حتى أسمعهم قولَه توبيخا...

وكذا إنكار عائشة رضي الله عنها.

أما القائلون بسماعهم فاستدلوا بحديث: "إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا".

ورد بأن هذا خاص بوقت وضعه في قبره ومجيئ الملكين إليه لسؤاله فلا عموم فيه، ولهم أدلة أخرى ولكن بعضها أحاديث ضعاف ضعفها العلماء وبعضها استنباطات وردّت بأنها في مقابلة النص غير معتبرة.

**مناسبة:** مناسبة ذكر سماع الأموات في بحث العقيدة من حيث إنه علم غيبيّ ومن حيث تعلق المبتدعة به وزعمهم أن الميت يسمع كلام من يكلمه في كل وقت حتى آل الأمر بهم إلى الاستغاثة بالأموات بحكم أن لهم حياة وسمعا كالأحياء فكما يطلب من الحي المعونة يطلب من الميت.

والجواب عن ذلك لو سلمنا جدلا أن الأموات يسمعون، فدعاءهم شرك وإنهم لا يجيبون من ناداهم قال تعالى عن حال الموتى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤﴾ (١).

فدلت الآيتان على أن الموتى لا يملكون أقل قليل فيعينوا المستعين بهم وعلى أن دعاءهم شرك والله أعلم.

**ولما فرغ** عن بيان ما هو الشرك جملة شرع في بيان أنواعه فقال رحمه الله:

(١) سورة فاطر ١٤

# أنواع الشرك الأكبر

**س٢٠: هل نستغيث بالأموات أو الغائبين؟ ج: لا نستغيث بهم قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١﴾ [سورة النحل:٢١]. ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ ۝٩﴾ [سورة الأنفال:٩] **وقال رسول الله ﷺ: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث** حسن: رواه الترمذي

*الشرح:* الاستغاثة هو طلب المساعدة في حال خطر وضيق فبينه وبين الدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان في طلب دفع المرهوب وينفرد الدعاء في طلب المرغوب فكل استغاثة دعاء ولا عكس.

**أما حكمه** فكالدعاء وقد مضى حكمه، واحترز بقوله "**الغائبين**" الاستغاثة بالأحياء فيما يقدرون عليه فجائز، لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ۝١٥﴾[١]

ويتضح كون الاستغاثة شركا من وجوه: من جهة اعتقاد المستغيث أن المستغاث به يتصرف في الكون ويجيب دعوته، وهذا نوع من أنواع الشرك في الربوبية، ومن جهة اعتقاده أنه يسمع ندائه ويعلم ما في خاطره، وهذا نوع من أنواع الشرك في الصفات، ومن جهة أنه يرتمي ويصيح ويتقرب إلى المستغاث به وهذا نوع من أنواع العبادة، والله أعلم.

قوله: **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.....** فيه نفي الخالقية والعلم عن المعبودات الباطلة فقوله: **لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**، تصريح بأن هذه المعبودات الباطلة لا تخلق شيئا من المخلوقات مهما صغرت بل هي مفتقرة إلى من يوجدها، وقوله: "**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ**" فيه نفي العلم عن المعبودات الباطلة بأحوالها وبالأولى بأحوال غيرها، وذلك بطريق نفي الشيء

(١) القصص١٥

بنفي ملزومه، فنفي الحياة عن هذه المعبودات يستلزم نفي العلم عنها لأن الحياة شرط في قبول العلم، وما كان كذلك لا يستحق الالاهية ولا يدعى ولا يستغاث به، ومن استغاث بما هو هذا حاله لا يخلو من أن يكون غير عاقل لا يدرى ما يقوله أو جاهلا لا يعلم معنى الاستغاثة أو مشركا يعتقد في معبوده التصرف وعلم الغيب فطلب منه المعونة وتقرب إليه وبهذا التقرير قد حصل فيه أنواع الشرك الثلاثة المذكورة قبل قليل، والله أعلم.

قوله: "**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ.....**" نزلت هذه الآية في رسول اللهﷺ، لما رأى يوم بدر قلة أصحابهرضي الله عنهم وكثرة المشركين دعا وناشد ربه وقال: أللّهم أنجز لي ما وعدتني أللّهم إن تُهلك هذه العصابةَ من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فأنزل الله هذه الآية.

ولما كانت هذه الاستغاثة من دأب النبيﷺ، وأصحابهرضي الله عنهم علم منه أنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، وبهذا التقرير يتم المناسبة في ذكر هذه الآية في هذا الباب، والله أعلم

وقوله: "**برحمتك نستغيث**" تمام الحديث عن أنس بن مالكرضي الله عنه قال: كان النبيﷺ، إذا كربه أمر قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.

**س٢١: هل تجوز الاستعانة بغير الله؟ ج: لا تجوز والدليل قوله تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة:٥].**وقولهﷺ: إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله:** حسن صحيح رواه الترمذي

*الشرح:* الاستعانة هي طلب المعونة من أجل الاقتدار على الشيء والتمكن من فعله فهي ودعاء المسألة مترادفا المعنى، فلا يجوز صرفها لغير الله.

فالمستعان به اعتمادا وثقة به-كما قال ابن القيمرحمه الله-هو الله وحده فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه

مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه فيحتاج إلى اعتماده عليه مع أنه غير واثق به[١] **"والدليل"** لعدم جواز صرفها **"قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾"** أي نخصك بالعبادة والاستعانة **"وقوله ﷺ: إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"** أي إذا أردت السؤال فاسأل الله وحده وإذا أردت الاستعانة في الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله وحده لا شريك له فإنه المستعان.

ووجه الاستدلال هو حصر الاستعانة بالله بتقديم ما حقه التأخير وهو إياك في الآية وتعليق الجزاء على الشرط في الحديث.

والمقصود بالحصر هنا حصر الاستعانة بالله على الأفعال المهمة وعظائم الأمور التي لا يستعان فيها الا بالله، أما الاستعانة المتعارفة بين الناس بعضهم ببعض في شؤنهم فله حكم يخصه، ولذلك ألحق المصنف إثر هذه الفقرة بالفقرة التالية فقال رحمه الله:

**س٢٢: هل نستعين بالأحياء؟ ج: نعم فيما يقدرون عليه قال تعالى:** ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ۝٢﴾ [سورة المائدة:٢]. **وقال ﷺ: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه:** رواه مسلم

*الشرح:* قوله: **"فيما يقدرون عليه"** مخرج لما لا يقدرون عليه كطلب الهداية وشفاء المريض فلا يجوز طلبه من الأحياء بل هو شرك أكبر مخرج من الملة، أما ما يقدرون عليه فجائز لأن الله **"قال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾"** قال عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: أي ليعن بعضكم بعضا على البر وهو: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين، والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله ورسوله، وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها أو

---

(١) انظر مدارج السالكين ١\٧٥

خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وبكل فعل كذلك، **"وقالﷺ: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"**

وجه الاستدلال إنه لما كانت المعاونة مأمورا بها ومرغوبا فيها، علم منه أن طلبها جائز لكنه بشرط أن يكون المستعين ذا ضرر أو حاجة ملحة، أما إذا لم يكن كذلك فسؤال الناس في أمور الدنيا فمذموم، لما فيه من إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، ولما فيه من إيذاء المسؤول غالبا، وقد بين النبيﷺ من تحل له المسألة، فعن قبيصة رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ: إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة، رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانا فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتا يأكلها صاحبها سحتا(١) اللهم إلا أن يكون المسؤول سلطانا فإنه لا مذمة فيه لأنه إنما يسأل مما هو حق له ولا منة للسلطان على السائل لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه، فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبيﷺ: إن المسألة كدّ يَكُدّ بها الرجل وجهه إلا أن يسأل الرجل سلطانا أو في أمر لابد منه(٢)

**س٢٣ : هل يجوز النذر لغير الله؟ ج: لا يجوز النذر إلا لله، لقوله تعالى** ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة آل عمران:٣٥]. **وقوله ﷺ: من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه: رواه البخاري**

(١) أخرجه مسلم برقم١٠٤٤

(٢) أخرجه الترمذي برقم ٦٨١ وانظر سبل السلام ١\٦٣١

*الشرح:* النذر هو إلزام المكلف نفسه لله شيئا وهو عبادة لا يكون إلا لله وحده لا شريك له، لكن باعتبار الوفاء به أما باعتبار ابتداء النذر فقد صح عن النبي ﷺ النهي عنه فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: نهى النبيﷺ، عن النذر وقال: "إنه لا يرد شيئا ولكنه يستخرج به من البخيل"(١) فالمقصود هنا ما كان باعتبار الوفاء، قوله: **"لا يجوز النذر لقوله تعالى: رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ"** الآية أي جعلت ما في بطني خالصا لوجهك، وجه الدلالة هو نذر امرأة عمران والدة مريم بربها لا بغيره، وبأصرح منه قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوْا نُذُوْرَهُمْ﴾(٢) وقولهﷺ: **"من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه"** فيه أمر من النبيﷺ بالوفاء بنذر الطاعة وما أمر به النبيﷺ عبادة لا يجوز صرفه لغير الله ومن صرفه لغيره فقد أشرك به في عبادته من جانب الوفاء بالنذر، وأشرك به أيضا في ربوبيته وذلك لأن الناذر لا ينذر لغير الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع.

ومما يدل على ذلك ما يرى من أحوال الناذرين، قال الصنعاني رحمه الله: فإن قلت هذه النذور والنحائر ما حكمها؟ قلت قد علم كل عاقل أن الأموال عزيزة عند أهلها يسعون في جمعها ولو بارتكاب كل مصيبة ويقطعون الفيافي من أدنى الأرض والأقاصي، فلا يبذل أحد من ماله شيئا إلا معتقدا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر فالناذر للقبر ما أخرج ماله إلا لذلك، وهذا اعتقاد باطل، ولو عرف ما أراده ما أخرج درهما.(٣)

وفي الحديث أيضا نهي عن الوفاء بنذر المعصية، فتحصل منه نوعان من النذر نذر عبادة ونذر معصية، فالأول لا يجوز إلا لله وحده لا شريك له ولا ينعقد لغيره، وأما الثاني فيحرم وفاءه لقولهﷺ: "ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه" وفي انعقاده وعدم انعقاده خلاف بين العلماء والأصح الأول للحديث الوارد فيه والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٦٩٣

(٢) الحج٢٩

(٣) انظر تطهير الاعتقاد٣٣

**س٢٤ : هل يجوز الذبح لغير الله؟ ج: لا يجوز والدليل قوله تعالى** ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [سورة الكوثر:٢] **انحر اذبح وقالﷺ: "لعن الله من ذبح لغير الله،": رواه مسلم.**

الشرح: الذبح إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص، وهو إن قصد به التوجه والتقرب إلى الله فهو عبادة وقربة، وقد فرض الله ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾(١) وهو أمر من الله أن يعلن النبيﷺ بأن مقصده في صلاته ونسكه وتصرفه مدة حياته وحاله من الإخلاص والإيمان عند مماته إنما هو لله ﷻ وفي إعلان النبيﷺ، بهذه المقالة ما يلزم المؤمنين من التأسي به حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله ﷻ وإذا كان الأمر كذلك فصرفه لغير الله شرك أكبر لأنه عبادة له والعبادات إنما تمتاز عن العادات بالتوجه فيها إلى المعبود تقربا إليه وتعظيما له، فكل من يتوجه إليه الذابح بذلك ويقصد به تعظيمه فهو معبود له سواء عبر فاعله عن ذلك بقول يدل عليه أم لا، قوله تعالى:" **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**" أي أخلص له صلاتك ونحرك أمره الله بمخالفة المشركين الذين يذبحون لغير الله وبالإخلاص له سبحانه، والأمر يدل على أن المأمور به عبادة لأن العبادة ما أمر به شرعا، فلا يجوز صرفه لغير الله بل هو شرك أكبر.

وقولهﷺ: " **لعن الله من ذبح لغير الله**" أي سواء كان الذبح لإنسي أو جني أو كعبة ونحوها، فكل ذلك حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له والعبادة له كان ذلك كفرا، فإن كان الذابح مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا(٢)

(١) الأنعام١٦٢

(٢) انظر شرح مسلم للنووي

وخرج **بقصد التوجه والتقرب**" ما يقصد به إكرام الضيف أو وليمة العرس ونحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوبا أو استحبابا لقولهﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه[١] وقوله لعبد الرحمن بن عوف حين تزوج: "أولم ولو بشاة".

وخرج به أيضا ما يقصد به الأكل أو الاتجار به فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾[٢] وقد يكون مطلوبا أو منهيا عنه حسبما يكون وسيلة له.[٣]

**س٢٥: هل نطوف بالقبور للتقرب بها؟ ج: لا نطوف إلا بالكعبة قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج:٢٩]. وقالﷺ: من طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة:** صحيح رواه ابن ماجه

*الشرح:* الطواف عبادة من العبادات العملية فمن طاف بالقبور فلا يخلو طوافه عن أمرين إما شرك أكبر وهو ما إذا طاف للتقرب إلى أصحابها لأنه حينئذ وجه عبادة إلى غير الله وإما بدعة وهو ما إذا طاف بها متقربا إلى الله، وقد نهى النبيﷺ بأحاديث عن الأمور التي تؤدي إلى عبادة القبور وطلب قضاء الحوائج من الموتى فمن هذه الأحاديث نهيهﷺ عن البناء على القبور وعن اتخاذها عيدا وعن اتخاذها مساجد فقال عليه الصلاة والسلام لما ذكرت له أم سلمةرضي الله عنها أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور قال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله [٤] وقال ﷺ، قبل أن يموت بخمس ليال: إني أبرأ إلى

(١) أخرجه البخاري ٦٠١٨ومسلم٤٧

(٢) سورةيس٧٢

(٣) انظر شرح كشف الشبهات لابن عثيمين

(٤) متفق عليه

الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذ القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك(١)

ونهى النبي ﷺ: عن الصلاة عند القبور سواء بني عليها مسجد أولا فقال ﷺ: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها(٢)

وذلك كله لأن اتخاذ القبور مساجد والصلاة إليها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها والطواف بالقبور كذلك والله أعلم، قوله: **لا نطوف إلا بالكعبة قال الله تعالى: "وَلْيَطَّوَّفُوْا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ" وقال ﷺ: من طاف الخ** أي لا نطوف بغيرها لأن الله تعالى وكذا رسوله ﷺ، ما شرعا الطواف بغيرها، فالطواف بغيرها تشريع فيما لم يأذن به الله ويصل الأمر إلى الكفر إذا كان الطواف بالقبور بنية التقرب إليها، ولهذا ذكره المؤلف في أنواع الشرك والله أعلم.

**س٢٦ : ما حكم السحر؟ ج: السحر من الكفر، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ۝١٠٢﴾ [سورة البقرة:١٠٢] وقال ﷺ: اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر...**: رواه مسلم

*الشرح:* السحر لغة كل ما لطف مأخذه ودق ومنه سحرت الصبي خادعته واستملته وكل من استمال شيئا فقد سحره، أما في الشرع فهو نوعان:

**النوع الأول**: ما يقع بخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ من صرف الأبصار عما يتعاطاه، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ

(١) رواه مسلم

(٢) رواه مسلم

﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾[١] وما يقع باستعانة بخواص الأشياء من دهانات وغيرها وبمزج قوى على ترتيب مخصوص.

**النوع الثاني**: ما يحصل بمعاونة الشيطان بضرب من التقرب إليهم وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴿١٠٢﴾﴾ [٢].

**ثم إن السحر متحقق وجوده** وتأثيره مع مصادفة القدر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.[٣]

وأنكر بعض العلماء حقيقة السحر وأضاف ما يقع منه إلى خيالات، والصحيح الأول قال النووي رحمه الله: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة.

**وأما حكمه فمبني على نوعيه** فالأول: وهو ما يفعله المشعوذ بخداع وتخييلات وبالاستعانة بخواص الأشياء من دهانات وغيرها فهو معصية كبيرة لا تصل إلى حد الكفر.

وأما الثاني: وهو ما يتقرب به إلى غير الله فهو كفر وهذا التفصيل هو الصحيح، قال النووي رحمه الله: قد يكون السحر كفرا وقد لا يكون كفرا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فحرام فإن تضمن ما يقتضي الكفر كفر وإن لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر، وقال مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر، وبقول مالك قال أحمد انتهى.[٤]

**ويلحق بالسحر النشرة** وهي ضرب من العلاج والرقية يعالج به من يظن أن به مسا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عند ما خامره من الداء أي يكشف.

---

(١) سورة طه٦٦

(٢) سورة البقرة ١٠٢

(٣) البقرة١٠٢

(٤) شرح مسلم

وهو نوعان: قال ابن القيمرحمه الله: النشرة حل السحر عن المسحور وهو نوعان: حل سحر بمثله، وهو ما كان في الجاهلية ويعد من عمل الشيطان وقد قال رسول اللهﷺ: هي من عمل الشيطان(١) والثاني: النشرة بالرقية والتعويذات والأدوية المباحة فهذا جائز.(٢)

قوله: **السحر من الكفر** ميل منهرحمه الله إلى قول مالكرحمه الله والصحيح ما أسلفناه، وأما قوله تعالى: **وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ الخ** وإن كان فيه ما يدل على كفر الساحر لكنه على بعض أفراد السحر وليس في السحر برمته، وكذا قول النبيﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"(٣) وإن كان يدل بدلالة الاقتران وبكونه موبقا على أن السحر كبيرة من الكبائر كالشرك، لكنه لا يدل على كونهما سيان بل العكس لأن أصل العطف للمغايرة، وإلا للزم أن يكون ما بعد السحر كفرا وليس كذلك، وذلك مع أن دلالة الاقتران غير قوية والله أعلم.

**س٢٧: هل نصدق العراف والكاهن في علم الغيب؟ ج: لا نصدقهما لقوله تعالى:** ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النمل:٦٥]. **وقالﷺ: "من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"** : صحيح رواه أحمد

*الشرح*: الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير والعراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة، وقيل هما سيان، قال النبيﷺ: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة

---

(١) رواه أحمد

(٢) نقل عنه في فتح المجيد ١\٣٩٩

(٣) متفق عليه

بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان فإذا "فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَا ذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا" الذي قال " الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ" فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه وكذب معها ما ئة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء"، قوله:" **في علم الغيب** " الغيب معناه ما لا تدركه الحواس ولا يعلم ببداهة العقل، ومن المعلوم أن علم الغيب من خصائص الربوبية لا يعلمه أحد إلا الله فمن أثبت هذا العلم لغير الله فقد نازع الله في صفته العلم المحيط، ومن ادعاء علم الغيب الكهانة والعرافة ولذلك قال المصنف رحمه الله: **"لا نصدقهما"** أي لأن الكاهن والعراف ممن يدعي علم الغيب وعلم الغيب مختص لله قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾ أي لا يعلم من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله، وقال ﷺ: من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد.

ووجه كون التصديق كفرا لأنه ادعاء علم الغيب لغير الله وهو شرك في صفته العلم المحيط بالمغيبات.

**ولما فرغ** من بيان كون الكهانة والعرافة شركا شرع في بيان اختصاص علم الغيب لله ولا يقال فيه نوع تكرار لتلازم الفقرتين لأنه إذا كان علم الغيب خاصا لله يلزم منه كون الكهانة والعرافة شركا لكونهما ادعاء لعلم الغيب، وذلك لأنه وإن كان موضوع الفقرتين -وهو علم الغيب- واحدا لكن تختلفان في بحثهما فالأولى تبحث عن كونه شركا بالله والثانية تبحث عن كونه خاصا لله، والله أعلم، فقال رحمه الله:

**س٢٨ : هل يعلم الغيب أحد؟ ج: لا يعلم الغيب أحد الامن أطلعه الله من الرسل قال تعالى:** ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الجن:٢٧] **وقال ﷺ: لا يعلم الغيب إلا الله: حسن رواه الطبراني**

*الشرح*: الغيب ينقسم باعتبار معلومه إلى نوعين:

**النوع الأول**: ما استأثره الله تعالى بعلمه وهو ما يتعلق بذاته وبعض أسمائه وحقائق صفاته

**والنوع الثاني**: ما يجوز أن يطلع بعض خلقه على بعضه وهو ما يتعلق بمخلوقاته، ثم إن هذا النوع ينقسم باعتبار العلم به إلى قسمين:

**القسم الأول**: العلم بالغيب علما حقيقيا مطلقا وهذا العلم غائب عن جميع الخلق حتى الملائكة ولا يعلمه أحد سوى الله تعالى وهذا النوع من علم الغيب هو المراد عند إطلاق لفظ علم الغيب لاستغراقه الزمان والمكان، فالله سبحانه هو العليم بكل شيء، فالماضي والحاضر والمستقبل عنده سواء، وعلمه بذلك صفة ذاتية لازمة له ولا تنفك عنه بحال

**والقسم الثاني**: العلم بالغيب علما نسبيا وهو ما غاب عن بعض الخلائق دون بعض كعلم الملائكة بالأمور التي لا يعلمها البشر مثلا، وكذا علم بعض البشر ببعض الأمور التي تغيب عن بعض، وهذا القسم من العلم هو ما يتأتى للمخلوقات وهم متفاوتون فيه كل بحسب تعليم الله له وعلوم الأنبياء تدخل في هذا القسم قوله: **"لا يعلم الغيب أحد إلا من أطلعه الله من رسول قال تعالى: عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ الآية"** قد اختلف في المراد بالغيب فقيل هو على عمومه وقيل هو ما يتعلق بالوحي خاصة والصحيح الأول.

وفي الآية رد على كل من يدعي أنه يطلع على ما سيكون من حياة أو موت أو غير ذلك لأنه مكذب للقرآن وهم أبعد شيء من الارتضاء مع سلب صفة الرسالة عنهم.

قال الزمخشري: في هذه الآية إبطال الكرامات لأن الذين يضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، ورد بأن الاطلاع نوعان اطلاع ظاهر واطلاع خفي فالأول هو اطلاع الله الأنبياء على الغيب اطلاعا تاما يفيد العلم كالمشاهدة، والثاني هو الكرامة فهي من قبيل التلويح واللمحات وليسوا في ذلك كالأنبياء، وذلك مع أن الكرامات عامة تشمل الاطلاع وغيره وليس في الآية-على تسليم دعواه- إلا نفي الاطلاع على الغيب بخلاف سائر الكرامات، ومن هذا القبيل ما أخرجه ابن إسحاق أن ناقة النبيﷺ، ضلت فقال زيد بن اللِّصِت: يزعم محمد أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال النبيﷺ: إن رجلا يقول كذا وكذا وإني والله لا أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها وهي في شعب كذا قد حبستها شجرة فذهبوا فجاءوه بها[1]

**ويستفاد من الحديث** أن الغيب الذي يطلع الله عليه الرسل شامل للوحي وهو ما أراد الله إبلاغه إلى الخلق أن يعتقدوه أو أن يفعلوه وشامل لما يؤيد الله به الرسل عن الأخبار بالأمور المغيبة.

ويستفاد منه أيضا أن النبيﷺ، لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله خلافا لبعض الصوفية الذين يزعمون أن الله أعطى المصطفىﷺ، علم الأولين والآخرين ويعلم جميع ما في اللوح المحفوظ، بل هذا كله من علومه ومن أصرح نصوصهم في هذا الأمر ما قاله البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللـوح والقـلم

وكلهم من رسول الله ملتمـس ... غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وتجاوزت هذه العقيدة من المتصوفة عنهﷺ، إلى مشايخ الطريقة فزعموا أنهم يعلمون ما في باطن القلوب والأمور المستقبلة، وأنه ينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى

(١) انظر الفتح ١٣\٣٧٦

أحواله كلها كما يرى الأشياء في الزجاجة، قال الشعراني: وأما سيدي عليٌّ الخواص فسمعته يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" إلى استقراره في الجنة أو في النار(١)

ومما يدل على بطلان هذه الخيالات أن الله أمر نبيه ﷺ، أن يقول: إنه لا يعرف ما يفعل به ولا بغيره بل كل هذا بيد الله وحده فقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾(٢) ويدل أيضا على أن النبي ﷺ، لا يعلم الغيب ولم يكن يعلم الصادق من الكاذب الحديث المتفق عليه أن رسول الله ﷺ، سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم ولعل بعضكم أبلغ من بعض فأحسبه أنه صادق فأقضي له بذلك فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها، وقالت عائشة رضي الله عنها من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ الآية(٣)

**والحاصل أن النبي ﷺ**، وإن أطلعه الله ببعض المغيبات لكنه لم يطلع له جميعها، فإذا كان الأمر في رسول الله ﷺ، كذلك فكيف بغيره، فإلى الله المشتكى فما أشد افتراء المفترين!

**س٢٩: هل نلبس الخيط والحلقة للشفاء؟ ج: لا نلبسهما لقوله تعالى:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾ [سورة الأنعام:١٧] وقوله ﷺ: أما إنها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك فإنك لو مت ما أفلحت أبدا: صحيح رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

---

(١) الكبريت الأحمر انظر لمثل هذا الطبقات الكبرى للشعراني أيضا

(٢) سورة الأحقاف ٩

(٣) أخرجه مسلم

*الشرح:* لبس الخيط أو الحلقة باعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها شرك في الربوبية في قدرته الكاملة سبحانه، قوله: **"للشفاء"** أي باعتقاد أن فيها الشفاء لذاتها، وهو محرم لمن يلبسها باعتقاد أنها سبب للشفاء فهو شرك أصغر لأنه جعل ما لم يجعله الله سببا سببا، وهو من الشرك الأصغر وسبب كونه شركا أنه لما اعتقد ما ليس بسبب شرعي ولا حسي سببا فقد شارك الله سبحانه في الحكم لهذا الشيء بأنه سبب مع أن الله لم يجعله، قوله تعالى:" **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ الآية**" فيه حصر كشف الضر في الله سبحانه، ويعلم منه أن من نازعه فيما اختص به من القدرة الكاملة يكون مشركا في ربوبيته وقوله ﷺ: **أما إنها لا تزيدك إلا وهنا الخ**: يفيد ما أفادته الآية.

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت كان عبدالله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطا قال: ما هذا الخيط؟ قلت: خيط رقي لي فيه قالت: فأخذه فقطعه ثم قال:" إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك سمعت رسول الله ﷺ، يقول: إن الرقى والتمائم والتولة شرك"(١)

**س٣٠: هل نعلق الخرزة والودعة ونحوها؟ ج: لا نعلقها من العين لقوله تعالى : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ ﴿١٧﴾﴾** [سورة الأنعام:١٧]. **وقوله ﷺ: من علق تميمة فقد أشرك صحيح:** رواه احمد **التميمة الخرزة أو الوديعة تعلق من العين**

(١) رواه أبوداود٣٨٨٣

*الشرح:* الودعة بسكون الدال وفتحها قال في القاموس هي خرز بيض تخرج من البحر تعلق لدفع العين قوله تعالى: وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ الآية: الكلام فيه كالكلام فيما قبل وقوله ﷺ: **"من علق تميمة"** تمام الحديث: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: إن عليه تميمة فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: من علق تميمة فقد أشرك[١] والحديث نص في كون تعليق التميمة شركا.

**س٣١: ما حكم العمل بالقوانين المخالفة للإسلام ج: العمل بالقوانين المخالفة للإسلام كفر إذا أجازها أو اعتقد صلاحيتها قال تعالى:** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤]. **وقال ﷺ: ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم :حسن رواه ابن ماجه وغيره**

*الشرح:* الحكم بما أنزل الله من توحيد الربوبية لأنه تنفيذ لحكم الله الذي مقتضى ربوبيته وإعطاء هذا الحكم لغير الله شرك به سبحانه في صفة الحكم، ولهذا سمى الله المتبوعين في غير ما أنزل الله أربابا لمتّبعيهم فقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣١﴾[٢] وهذا الاتخاذ كان في تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله، لا أنهم صلوا لهم وصاموا كما بينه النبي ﷺ، في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ، يقرأ هذه الآية فقلت له: إنا لسنا نعبدهم قال: أليس يحرمون ما

(١) رواه أحمد رقم الحديث١٧٤٢٢
(٢) سورة التوبة٣١

أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟ قال: قلت بلى قال: فتلك عبادتهم،[١] وانطلاقا منه إن العمل بالقوانين المخالفة للإسلام يكفر الحاكم بها والمتحاكم إذا أجازاها أو اعتقدا صلاحيتها لأنه إذا أجازاها كانا مخالفين لإجماع المسلمين القطعي على أنه لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله وهذا كفر كاعتقاد حل الزنا أو الخمر

وأما اعتقاد صلاحيتها فيه نوعان: الأول اعتقاد القانون أنه مثل حكم الله، والثاني اعتقاده أنه أحسن من حكم الله، وكلاهما كفر لأن معتقد هذا الاعتقاد مكذب للقرآن حيث يقول الله: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فإذا كان الله أحسن الحاكمين فمن ادعى أن حكم غير الله مثل حكم الله أو أحسن منه فهو كافر.

أما لو حكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن حكم الله هو الحق فلا يكفر ولكن يفسق، وإلا للزم تكفير كل صاحب معصية يعرف أنه عاص لله ويعلم أنه حكم الله[٢]

ودليل كفر الحاكم قوله تعالى: "﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾"

قوله: "**وقالﷺ: ومالم تحكم أئمتهم الحديث**" وإن كان فيه ما يدل كونه حراما من الوعيد بالبأس لكنه ليس فيه –فيما يظهر– ما يدل على كونه كفرا والله أعلم.

أما دليل كفر المتحاكم فالآية التي مضت معنا مع حديث عدي بن حاتم.

فعلى المسلمين أن يحكموا بما أنزل الله ويتحاكموا إليه وعليهم أن يتحاكموا إلى من يثقون به من العلماء إذا لم تكن عندهم المحاكم الإسلامية.

هذا كله في الحكم بغير ما أنزل الله فقط أما من غير دين الله ووضع القوانين فله لون آخر والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي

(٢) انظر القول المفيد٣٦٨

**ومما ينبغي التنبيه عليه** أن هذه الأنواع وغيرها من أنواع الشرك فالحكم على كفر فاعلها حكم على العموم، وأما المعين فيشترط في الحكم عليه بلوغ الدعوة وإقامة الحجة وزوال الشبهة عنه، وإلا فهو معذور ما لم يتبين له ويتضح لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1] وهذا قول عامة أهل العلم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله –حين يتكلم عمن قيل عنه إنه رجع عن اعتقاد علو الله –: نعم وقوع الغلط في مثل هذا يوجب ما نقوله دائما: إن المجتهد في مثل هذا من المؤمنين إذا استفرغ وسعه في طلب الحق فإن الله يغفر له خطأه وإن حصل منه نوع تقصير هو ذنب لا يجيب أن يبلغ الكفر، وإن كان يطلق القول بأن هذا الكلام كفر، كما أطلق السلف الكفر على من قال ببعض مقالات الجهمية مثل القول بخلق القرآن، أو إنكار الرؤية أو نحو ذلك مما هو دون إنكار علو الله على الخلق وأنه فوق العرش، فإن تكفير صاحب هذه المقالة كان عندهم من أظهر الأمور، فإن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفّر تاركها، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ في الرجل الذي قال: "إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال خشيتك فغفر له"[2] فهذا الرجل اعتقد أن الله لا يقدر على جمعه إذا فعل ذلك أو شك، وأنه يبعثه وكل من هذين الاعتقادين كفر يكفر من قامت عليه الحجة، لكنه كان يجهل ذلك، ولم يبلغه العلم بما يرده عن جهله، وكان عنده إيمان بالله وبأمره ونهيه ووعده ووعيده، فخاف من عقابه فغفر الله له بخشيته، فمن أخطأ في بعض مسائل الاعتقاد من أهل الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر والعمل الصالح لم يكن

---

(١) سورةالنساء١١٤

(٢) رواه البخاري٦٤٨١ ومسلم٢٧٥٦

أسوأ حالا من هذا الرجل فيغفر الله خطأه أو يعذبه إن كان منه تفريط في اتباع الحق على قدر دينه انتهى(١)

**ولما فرغ** عن بيان ما أورده من أنواع الشرك أخذ ينبّه أن الشيطان تكفل بإخراج العباد عن العقيدة الصحيحة، وإدخالهم في وكر الشرك، فينبغي التحرز منه بما أعلمنا النبي ﷺ من الأدعية، مما يدل على أن المصنف رحمه الله كامل النصح حريص لوقاية العقيدة الصحيحة مما يناقضها فجزاه الله عنا خير الجزاء، فقال:

**س٣٢: كيف نرد سؤال الشيطان: من خلق الله؟ ج: إذا وسوس الشيطان لأحدكم هذا السؤال فليَستعِذ بالله قال تعالى:** ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [سورة الأعراف:٢٠٠] **وعلّمنا الرسول أن نرد كيد الشيطان ونقول: آمنت بالله ورسوله الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان ولينته فان ذلك يذهب عنه: هذه خلاصة الأحاديث الصحيحة الواردة في البخاري ومسلم واحمد وابي داود.**

*الشرح:* وسوسة الشيطان وحرصه وعدم التكاسل عن إغواء الناس أمر معروف فإنه خرج من الجنة مقسما بربه ليغويهم، قال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٣٩﴾ (٢) . ومن إغوائه هذا السؤال الوارد في قول المصنف "**من خلق الله؟**" قوله: ""**إذا وسوس الشيطان**" أي شيطان الجن والإنس، ولم يصب من خص بشيطان الجن، لما سيأتي في رواية مسلم ما يشمل شيطان الجن والإنس قوله: "**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ الآية**" فيه الحث لمن وسوسه الشيطان ليحمله على خلاف ما أمر به

(١) الاستقامة ١/٩٩
(٢) سورة الحجر ٣٩

ويوقعه في المهالك من الشرك وغيره، أن يلتجئ إلى الله ويستعيذ بحماه، وهو وحده الكفيل بصرف وسوسة الشيطان عنه، وهذا الأمر وإن كان المراد به رسول الله ﷺ، لكنه شامل لأمته بل هم أولى منه، لأن نزغ الشيطان إياهم أقوى وأكثر، وقوله: **"وعلمنا الرسول أن نرد كيد الشيطان ونقول الخ"** رواية البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته، رواية مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل آمنت بالله وفي رواية له ورسوله، رواية أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا وليستعذ من الشيطان، قوله: **"ولينته"** أي عن الاسترسال معه في ذلك بل يلجأ إلى الله في دفعه ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها، وقوله ﷺ: "لا يزال الناس يتساءلون" يدل على أن الكف عن الخوض في ذلك شامل لمخاطبة البشر وليس خاصا بوسوسة الشيطان وذلك لأن العلم باستغناء الله عن الخلق أمر ضروري لا يستحق التأمل والاحتجاج والاسترسال في الفكر في ذلك لا يزيد المرء إلا حيرة، ومن هذا حاله فلا علاج له إلا الملجأ إلى الله والاعتصام به.[1]

(١) انظر فتح الباري

**س٣٣: ما هو ضرر الشرك الأكبر؟ ج: الشرك الأكبر يسبب الخلود في النار قال الله تعالى:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة:٧٢]. **وقال ﷺ: ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار: رواه مسلم**

**س٣٤: هل ينفع العمل مع الشرك؟ ج: لا ينفع العمل مع الشرك لقوله تعالى عن الانبياء:** ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٨]. **وقال ﷺ: قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي غيري تركته وشركه:** رواه مسلم

*الشرح:* ولما كان الشرك الأكبر أعظم جريمة كان ضرره أكثر وأفظع، فمن ذلك الضرر أنه **"يسبب الخلود في النار قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾"** فجمع سبحانه في الآية بين العقوبة السلبية للمشركين وهي حرمانهم من الجنة، وبين العقوبة الإيجابية وهي استقرارهم في النار إشارة إلى عظمة جرمهم حيث أشركوا بالله وسوّوا الخلق بالخالق، **"وقال ﷺ: من لقي الله لا يشرك به دخل الجنة ومن لقي الله يشرك به شيئا دخل النار".**

وهذا الدخول في النار ليس في شخص دون آخر بل يعم كل المشرك.

قال النووي رحمه الله: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق فيه بين كتابي اليهود والنصارى وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجهده ما يكفر بجهده وغير ذلك[١] ومن

(١) انظر شرح مسلم ٢\٩٧

ضرره حبوط العمل به وإليه الإشارة بقوله: **"لا ينفع العمل مع الشرك لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.**

**وقال النبيﷺ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي غيري تركته وشركه".**

## الشرك الأصغر

**س٣٥ : ما هو الشرك الأصغر؟ ج: الشرك الأصغر هو الرياء قال تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]**وقالﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء** (صحيح رواه احمد) **ومن الشرك الأصغر قول الرجل: لولا الله وفلان أوما شاء الله وشئت، قال ﷺ: لا تقولوا ما شاءا لله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**: صحيح رواه أبوداود

**س٣٦ :هل يجوز الحلف بغير الله؟ ج: لا يجوز الحلف بغير الله قال تعالى:** ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴿٧﴾﴾ [سورة التغابن:٧].**وقال ﷺ: من حلف بغير الله فقد أشرك** صحيح رواه احمد، **وقالﷺ: من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت**: متفق عليه

*الشرح*: لم يعرّف المصنفرحمه الله الشرك الأصغر وإنما ذكر مثالا له وذلك–والله أعلم– لأن تعريفه صعب لكثرة أفراده وتنوعه، وما ذكره بعض العلماء من التعريفات فغير مستوف لشروط التعريف لأنها إما غير جامع وإما غير مانع وإما غير جامع ومانع، وأما قوله: **"الشرك الأصغر هو الرياء"** لم يرد به تعريفه وحصره على الرياء، وإنما مراده ذكر مثال من

أمثلته كأنه قال الرياء أحد أنواع الشرك الأصغر بدليل قوله بعده: "ومن الشرك الأصغر الخ".

**وأنواعه ثلاثة النوع الأول**: قلبي وإليه الإشارة بقوله: **الشرك الأصغر هو الرياء** ودليله قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ أي لا يرائي بعمله، وقوله ﷺ: إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر الرياء، ومن هذا القبيل إرادة الإنسان بعمله الدنيا إما تحصيل مال أوجاه، والفرق بينه وبين الرياء أن المرائي إنما يريد بعمله المدح والثناء، والمريد بعمله الدنيا إنما يعمل لما يصيبه من مال أو منصب.

**النوع الثاني**: قولي وإليه الإشارة بقوله: "**ومن الشرك الأصغر قول الرجل لو لا الله وفلان**" أي مما فيه اسناد بعض الحوادث إلى غير الله، وبقوله: "**أو ما شاء الله وشئت**" أي فيما فيه التسوية في اللفظ بين الله سبحانه وبين غيره في أمر يختص به الله، ودليله قول النبي ﷺ: لا تقولوا ما شاء وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان، وبقوله: "**لا يجوز الحلف بغير الله**" أي مما فيه تعظيم لغير الله، ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴿٧﴾﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم بربه لا بغيره، وقوله ﷺ: من حلف بغير الله فقد أشرك، وقوله ﷺ: من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت، أي لا ثالث لهما إما الحلف بالله لا بغيره وإما الصمت، والله أعلم، ومثله قول بعضهم مطرنا بنوء كذا وكذا مما فيه الاعتماد على سبب لم يجعله الشرع سببا.

**النوع الثالث**: عملي وذلك كلبس الحلقة بغير اعتقاد التأثير بذاتها وقد مر معنا.

**وأما حكمه** فهو من أكبر الكبائر بعد الشرك مع أنه لا يخرج مرتكبه عن الإسلام، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" لأن أحلف بالله كاذبا أحب إليّ من أن أحلف بغيره صادقا[١]

(١) رواه الطبراني

اختار رضي الله عنه الحلف بالله كاذبا مع أنه كبيرة من الكبائر وذلك لأن سيئة الكذب أسهل من سيئة الشرك ولوكان شركا أصغر مما يدل على أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

## التوسل وطلب الشفاعة

*الشرح:* ذكر المؤلف رحمه الله في هذا الباب مسألتين:

**الأولى**: مسألة التوسل وهو مصدر لتوسل يقال توسلت إلى الشيء توسلا أي تقربت إليه، وفيه نوعان وفي كل نوع ثلاثة أنواع ستأتي تفاصيلها.

**والمسألة الثانية**: الشفاعة وهي السؤال في التجوز عن الذنوب، وطلبه هو الاستشفاع.

وهي نوعان: النوع الأول: هو الشفاعة بين العباد بعضهم لبعض في الدنيا وهي سنة وطلبها جائز، وهي المرادة بالفقرة السادسة من هذا الباب.

والنوع الثاني: هو الشفاعة عند الله وهي قسمان مثبتة ومنفية، فالمثبتة هي التي استوفت شرطين الأول: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ ﴿٢٣﴾﴾[1] الثاني: رضاه عن المشفوع له قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾[2]

**وأما الشفاعة المنفية**: فهي الشفاعة الشركيّة وهي التي يفعلها الناس بعضهم مع بعض وهي أن يحمل الشافع المشفوع عنده على فعل مالم يرده أو ترك ما أراده، وهذه الشفاعة مبنية على ترك الإرادة وفسخها لأجل الشفيع، وسبب كون هذه الشفاعة شركية أن الشافع في هذه الحالة قد أثّر في تغير اختيار المشفوع عنده وهو الله سبحانه فصار شريكا في المطلوب

---

(١) سبأ٢٣

(٢) الأنبياء٢٨

والله منزه عن ذلك، وهي التي نفاها الله تعالى بقوله ﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ ﴾[1] وهي المرادة بالفقرة الخامسة من هذا الباب.

**س٣٧: بماذا نتوسل إلى الله؟ ج: التوسل منه جائز وممنوع**

*الشرح:* قوله جائز وممنوع أما الجائز هو الذي أمر به الله ورسوله وعمل به الصحابة رضي الله عنهم وهو ثلاثة أنواع: النوع الأول: التوسل بأسماء الله وصفاته ويدخل فيه التوسل بربوبيته تعالى للصالحين كما في حديث عائشة رضي الله عنها: اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل.

والنوع الثاني: التوسل بالأعمال الصالحات وتحته التوسل بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم واتباعه والصلاة عليه، والتوسل بمحبة الصالحين.

والنوع الثالث: التوسل بطلب الدعاء من الحي، فالنوع الثالث ذكره المصنف بعد فصل واحد أخّره عن مكانه لنكتة تأتي بيانها. وأما الأول والثاني فدونك ببيانه فقال رحمه الله:

**التوسل الجائز والمطلوب هو التوسل بأسماء الله وصفاته والعمل الصالح قال الله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۝١٨٠﴾ [الأعراف١٨٠]وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ۝٣٥﴾**[المائدة٣٥]أي تقربوا اليه بطاعته والعمل بما يرضيه) ذكره ابن كثير نقلا عن قتادة، وقال صلى الله عليه وسلم:"أسألك بكل اسم هولك": صحيح رواه احمد وقال صلى الله عليه وسلم: للصحابي الذي سأله مرافقته في الجنة: أعني على نفسك بكثرة السجود،** أي الصلاة وهي من العمل الصالح":رواه مسلم **ويجوز التوسل بحبنا وحب الله للرسول والأولياء، وكقصة أصحاب الغار الذين توسلوا بأعمالهم الصالحة ففرج الله عنهم**

[1] السجدة٤

*الشرح:* شرع المصنف إلى تفصيل ما أجمله بقوله جائز وممنوع فقوله: **المطلوب** أي ما طلبه الشارع قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠﴾ أي سموه ونادوه بها فهذا دليل للتوسل بأسمائه ومنه قولهﷺ: إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة،(١) والإحصاء يقع بالعمل والقول فالعمل يحصل بالتحلي بمعانيها كالعفو والرحمة، والقول يحصل بجمعها والسؤال بها.

وقال بعض العلماء- وإن لم يكن صوابا- بعدم جواز الدعاء بغير الأسماء التسعة والتسعين، مما يدل بالأولى على عدم جواز الدعاء بغير أسماء الله وصفاته من أسماء المخلوقين، وقوله: "﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾" دليل على مشروعية التوسل بالأعمال الصالحات، والوسيلة على وزن فعيلة بمعنى ما يتوصل به إلى الله من فعل الطاعات واجتناب المحرمات، والجار والمجرور في قوله: إليه الوسيلة متعلق بابتغوا أو بالوسيلة وقدم الجار والمجرور لإفادة التخصيص أي اطلبوا ما يقربكم إلى الله من الأعمال الصالحات ولا تتقربوا إلى غيره، وقولهﷺ: "**أسألك بكل اسم هو لك**" سيأتي تمام الحديث آخر الكتاب وهو داخل في التوسل في الأسماء، وقولهﷺ: " **أعني على نفسك بكثرة السجود**" تمام الحديث عن ربيعة بن كعب قال كنت أبيت مع رسول اللهﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي "سل" فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة قال: أ وغير ذلك؟ قلت: هو ذاك قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود(٢) وهو داخل في التوسل بالأعمال الصالحات، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٦﴾(٣) قوله: "**ويجوز التوسل بحبنا وحب الله للرسول والأولياء**" فيه نوعان: من التوسل أحدهما: التوسل بالعمل الصالح وهو حبنا للرسول والأولياء والثاني:

---

(١) رواه البخاري رقم الحديث ٢٧٣٦

(٢) مسلم رقم الحديث٤٨٩

(٣) آل عمران١٦

التوسل بصفة من صفات الله وهي حبه للرسول والأولياء، قوله: **"وكقصة أصحاب الغار"** وحاصل القصة أن ثلاثة نفر كانوا يتمشون فأواهم المبيت إلى غار فانحطّت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم، فتوسل أحدهم ببره لوالديه والثاني بأدائه للحقوق والثالث بعفته ففرج الله عنهم.

**وأما التوسل الممنوع**: فهو الذي لا أصل له في الدين وهو ثلاثة أنواع أيضا أحدها طلب الحجات من الأموات والثاني التوسل بجاه الرسول ونحوه والثالث طلب الأموات أن يدعوا الله للطالب، فالمصنف رحمه الله أشار إلى الثالث فيما يأتي حين يقول: يجوز طلب الدعاء من الأحياء لا الأموات وأما الأول والثاني فقد شرع في بيانهما فقال رحمه الله:

**التوسل الممنوع: وهو دعاء الأموات وطلب الحاجات منهم كما هو واقع اليوم وهو شرك أكبر لقوله تعالى:** ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦]. أي المشركين، **أما التوسل بجاه الرسول ﷺ: كقولك: يا رب بجاه محمد اشفني فهذا بدعة لأن الصحابة لم يفعلوه ولأن عمر توسل بالعباس حيا بدعائه ولم يتوسل بالرسول ﷺ: بعد موته، وهذا التوسل قد يؤدي للشرك، وذلك إذا اعتقد أن الله محتاج لواسطة بشر كالأمير والحاكم، لأنه شبه الخالق بالمخلوق، ولمعرفة المزيد من التفاصيل وأدلة هذا الموضوع يراجع رسالة–التوسل وأحكامه وأنواعه–للشيخ الألباني** رحمه الله

*الشرح:* إطلاق التوسل على هذين النوعين غير مسلّم لأنه ليس ما يدل عليه من لغة ولا شرع بل في بعضه تسويغ دعاء غير الله باسم التوسل، قوله: "**وهو شرك أكبر**" أي لأن المتوسل بهذا التوسل وجه إليهم السؤال ومن وجه السؤال إلى الأموات فهو مشرك سواء

نوى الشفاعة أو اعتقد أنهم مؤثرون وذلك لأن الدعاء عبادة وصرفه لغير الله شرك، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨﴾.

**وأما التوسل بجاه الرسول ﷺ**: فاستدل المصنف لبدعيته بعدم فعل الصحابة رضي الله عنهم وبعدول عمر رضي الله عنه إلى العباس رضي الله عنه بعد موت النبي ﷺ، وقصة عمر ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: أللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال: فيسقون.

ووجهه أنه لوكان التوسل بجاهه ﷺ، مشروعا لسبقونا إليه وهم أحرص بسنته وأعلم بها وأشد حبا له ﷺ، بأكثر من المتأخرين الزاعمين حبه بغير اتباع هداه، ولَمَا عدل الخليفة الملهم عمر رضي الله عنه عن الفاضل حيا وميتا وهو الرسول ﷺ، إلى المفضول وهو العباس رضي الله عنه واستدل بعض الناس بهذا الحديث نفسه على جواز أو سنية التوسل بجاهه ﷺ، وبالغ بعضهم فجعله دليلا لجواز دعائه ﷺ، والاستغاثة به.

أما جعله دليلا لجواز دعائه فظاهر البطلان، وأما إفادته لجواز التوسل بجاهه فالجواب عنه بوجوه وأكتفي بجوابين الأول: ما ورد في بعض طرق الحديث عن أنس رضي الله عنه قال كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ، استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون فلما كان إمارة عمر.. وقوله: "استسقوا فيستسقي لهم" دليل واضح على أنهم يطلبون منه دعاءه فيدعو لهم فيستجاب له، والثاني: إن التوسل المعهود في حياة النبي ﷺ، هو طلب الدعاء منه فيدعو لهم.

وأما من قال: إن عدول عمر إلى العباس للإشارة إلى جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل، فجوابه إنه يمتنع في العادة أن يسأل الله المضطر بأضعف السببين مع القدرة على أعلاهما لأن المضطر يلجأ إلى أعظم من يخلصه وينسى غيره، كما قال الله تعالى عن المشركين: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ ﴿٦٧﴾﴾ (١).

**س٣٨: هل يحتاج الدعاء لواسطة بشر؟ ج: لا يحتاج الدعاء لواسطة بشر لقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ ﴿١٨٦﴾﴾ [سورة البقرة:١٨٦].
**وقوله ﷺ: إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم. أي بعلمه:** رواه مسلم

الشرح: مراد المصنف رحمه الله بهذه الفقرة -والله أعلم- الرد على من يدعي أن التوسل سبب لإجابة الدعاء، وحاصل الرد أنه ليس لهذه الدعوى دليل صحيح صريح بما أن السبب الكوني لا يجوز تعاطيه إذا لم يكن مشروعا، على فرض كونه سببا، فالنشرة بالسحر سبب كوني لحله لكنه حرام، قوله تعالى: **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي......** القرب نوعان قرب بعلمه من كل شيء وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة أي أتولى جوابهم عن سؤالهم بنفسي بغير واسطة بيني وبينهم وقوله ﷺ: **إنكم تدعون سميعا قريبا..** تمام الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه قال كنا مع النبي في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم (٢).

**ولما فرغ** عن بيان عدم احتياج الواسطة للدعاء ردا لمن جعل التوسل سببا للإجابة شرع يذكر عن جواز طلب الدعاء من الأحياء إشارة إلى أن الوساطة الممنوعة غير هذا الطلب، فبين أن الوساطة فيه ممنوع ومشروع، ولهذه النكتة أخره عن مكانه والله أعلم فقال رحمه الله:

---

(١) الإسراء٦٧
(٢) متفق عليه

**س٣٩: هل يجوز طلب الدعاء من الأحياء؟ ج: يجوز طلب الدعاء من الأحياء لا الأموات قال تعالى يخاطب الرسول حيا:** ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ١٩﴾ [سورة محمد:١٩]. **وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ: فقال: ادع الله أن يعافيني**

*الشرح:* ذكر المصنف رحمه الله في هذه الفقرة نوعان من التوسل أحدهما جائز والآخر ممنوع وأشار إلى الأول بقوله: يجوز طلب الدعاء من الأحياء وإلى الثاني بقوله: لا الأموات، قوله: **يجوز طلب الدعاء من الأحياء** دليله قوله تعالى: "وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينِ... فلما أمر الله نبيه بالاستغفار للمؤمنين وهو حيٌّ علم منه جواز طلب الدعاء من الأحياء وقول الصحابي للنبي عليه السلام: **" ادع الله لي أن يعافيني "** تمام الحديث عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي عليه السلام، فقال: ادع الله أن يعافيني قال: "إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك" قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:" اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيَّ[1] يفيد الحديث أن هذا الصحابي الضرير رضي الله عنه توسل بدعاء النبي عليه السلام ودعا له وهو حيٌّ فاستجاب الله دعاءه، أما قوله: **وأتوجه إليك بنبيك** الذي تشبث به المبطلون لتسويغ ما ابتدعوه من جواز التوسل بالذات فغير مسلَّم لأن مراده أتوجه إليك بدعاء نبيك ويدل لهذا قوله في الآخر: "اللهم شفعه فيّ وشفعني فيه" أي تقبل شفاعته ودعاءه لي، إذ لو لم يدع له النبي عليه السلام، لما طلب الأعمى من الله شفاعة النبي عليه السلام، ويدل عليه أيضا قوله رضي الله عنه "ادع الله لي" وكذا وعده عليه السلام إياه

(١) ٣٥٧٨

بالدعاء إن لم يصبر، وقوله: **لا الأموات** مخرج لطلب الدعاء من الأموات لأنه إما شرك وإما بدعة، فالأول: ما إذا طلب الطالب من الأموات أن يدعوا الله له وهو بعيد عن قبورهم فهو شرك أكبر لأن الطالب وإن لم يعتقد تصرفهم فلا بد من اعتقاده حين يناديهم أنهم يسمعون نداءه ويعلمون ما حلّ به وهو شرك في الصفات.

والثاني: ما إذا طلب منهم وهو قريب من قبورهم وهذا بدعة لا تصل إلى حد الشرك الأكبر حتى عند من لا يقول بسماع الأموات كالمصنف لأن فيه شبهة من يقول من العلماء بسماع الأموات والله أعلم.

**فتحصل من هذا كله أن الوساطة** بين العبد وربه –على ما ذكره المصنف– أربعة أنواع: النوع الأول: الوساطة بالتوسل بالجاه وهي بدعة والثاني: الوساطة بالطلب من الحي أن يدعو الله للطالب وهي جائزة والثالث: الوساطة بالطلب من الأموات أن يدعوا الله للطالب وفي هذا النوع صورتان الصورة الأولى: الطلب منهم والطالب بعيد عن قبورهم فهي شرك كما تقدم، والصورة الثانية: الطلب منهم وهو قريب من قبورهم وهي بدعة كما تقدم أيضا.

**ولما فرغ** عن توضيح الوساطة الشركية والبدعة والجائزة شرع استطرادا في توضيح الوساطة واجب الإيمان بها ألا وهي وساطة التبليغ فقال رحمه الله:

**س٤٠: ماهي واسطة الرسول ﷺ؟ ج: واسطة الرسول ﷺ هي التبليغ قال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ٦٧﴾ [سورة المائدة:٦٧] **وقال ﷺ: اللهم اشهد جوابا لقول الصحابة، نشهد أنك قد بلغت:** رواه مسلم

الشرح: هذه الوساطة يجب الإيمان بها والعمل بمقتضى الإيمان بها ومقتضاه طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، وهذه

الوساطة واجبة على الرسولﷺ، أمره الله بها حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴿٦٧﴾﴾ . فبلغﷺ، أتم بلاغ بغير نقص وزيادة ودعا وأنذر وشهد له بتبليغه الصحابة الكرام رضي الله عنهم فقد قالﷺ، في خطبته يوم حجة الوداع: أيها الناس إنكم مسؤولون عنِّي فماذا أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس "اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات[1]

ولما فرغ عن المسألة الأولى وهي مسألة التوسل شرع في المسألة الثانية وهي مسألة الشفاعة فقال رحمه الله:

**س٤١: ممن نطلب شفاعة الرسول ﷺ؟ ج: نطلب شفاعة الرسول من الله قال تعالى:** ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الزمر:٤٤] **وعلم** ﷺ **الصحابي أن يقول: اللهم شفعه فيَّ** حسن صحيح رواه الترمذي **وقال** ﷺ: **إني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا:** رواه مسلم

الشرح: شفاعة الرسولﷺ، ثابت بالسنة المتواترة، وكذا بالإجماع

**أما السنة**: فكحديث الشفاعة الذي رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه وفيه ثم يقال ارفع رأسك وسل تعطه وقل تسمع واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي فأدخلهم الجنة،[2]

**وأما الإجماع**: فقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في **"قاعدة جليلة"** إجماع المسلمين على أن النبيﷺ، يشفع للخلق يوم القيامة.

(١) رواه مسلم رقم الحديث١٢١٨

(٢) أخرجه البخاري ٤٤٧٦

وهي نوعان: شفاعة يختص بها النبيﷺ، وهي ثلاثة شفاعة لفصل القضاء وشفاعة للمؤمنين عند دخول الجنة وشفاعته لعمه أبي طالب.

والنوع الثاني: شفاعات يشاركه بها غيره كالشفاعة في من دخل النار لإخراجه منها.

ولما كانت الشفاعة ثابتة واتفق عليها الأمة في الجملة[١]، لم يجعل المصنف السؤال عن الشفاعة وإنما وجه سؤاله عمن تطلب منه وهو المصرع بين أهل السنة وأهل البدعة، قوله: **"نطلب شفاعة الرسول من الله"** أي لا من غيره، وفيه رد على من يجيز طلبها من الرسولﷺ، بدعوى أن الله أعطاه الشفاعة فنطلب ما أعطاه الله.

وحاصل الرد أن الله أثبت الشفاعة في آيات ونفاها في آيات أخرى فمن الأولى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[٢]. ومن الثانية قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴿٤٤﴾﴾[٣]

فالشفاعة المثبتة مقيدة بشرطين: الأول الإذن من الله للشافع كي يشفع لأن الشفاعة ملك الله وحده والثاني الرضى منه عن المشفوع له بأن يكون موحّدا فيكون أهلا للشفاعة لأن المشرك لا تنفعه الشفاعة قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[٤]

ويستثنى من هذا الشرط الشفاعة العظمى في الموقف فهي عامة لجميع الناس من رضي الله عنهم ومن لم يرض عنهم، وكذا شفاعته لعمه وهي شفاعة لكافر.

وقال بعض العلماء: معنى هذا الشرط الرضى عن الشافع والكافر لا يشفع وعن الشفاعة في المشفوع فيه ولا إشكال في هذا القول.

---

(١) قولي: في الجملة مخرج لرأي الوعيدية الذين ينكرون شفاعتهﷺ، في من دخل النار من أهل الكبائر ويقصرون الأدلة الواردة على الشفاعة للمتقين .

(٢) سورة النجم٢٦

(٣) سورة الزمر٤٤

(٤) سورة المدثر٤٨

**وأما الشفاعة المنفية** فهي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق، وهي أن يشفع الشفيع إلى غيره ابتداء فيقبل شفاعته، وأما إذا أذن له أن يشفع فشفع فهو لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أي تابعا له في الشفاعة، وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للآمر المسؤول.(١)

**وبناء على هذا** فإن طلب الشفاعة من غير الله على جهة أن المطلوب يملك الشفاعة ويستحق الإجابة على الله تنقص لربوبيته سبحانه وتقييد لمشيئته وإرادته، فالكلام في استحقاق الله الشفاعة وكونها حقا خالصا له فرع عن الكلام في إرادته وعمومها وكونها نافذة في جميع مخلوقاته، فالعبد هو الذي تقيد مشيئته بمشيئة الله وليس الله هو الذي تقيد مشيئته بمشيئة العبد، ومشيئته نافذة على كل مخلوق وهو سبحانه لا مكره له ولا استحقاق لأحد عليه، فمقتضى ذلك أن لا يكون لأحد حق الشفاعة عنده بل الشفاعة كلها لله وحده، ولهذا نفى الله أن يكون غيره يملك الشفاعة و يأذن فيها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء، ولهذا قال المصنف رحمه الله: " **نطلب الشفاعة من الله**" وقوله تعالى: "**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ**" فيه قصر ملك الشفاعة على الله لا أحد يملك الشفاعة عنده وقوله: " **جميعا** " حال من الشفاعة مفيدة للاستغراق أي لا يخرج من الشفاعة شيء عن كونه ملكا لله، وإذا كان كذلك فلا يجوز طلب الشفاعة إلا من مالكها وهو الله سبحانه، ومع ذلك فإنه سبحانه قد يأذن فيها لمن يشاء من عباده ولا يلزم من ذلك أن يكون المأذون له في الشفاعة قد ملكها مع الله، بل هي لله وحده قبل الإذن وبعده، وإنما يكرم بها الله بعض عباده فيقبل شفاعتهم، فحقيقة الشفاعة إظهار كرامة الشافع وإرادة الله رحمة المشفوع له وإلا فالأمر كله بيد الله ليس فيه أيُّ حق لنبي مرسل ولا ملك مقرب.

(١) انظر الفتاوى ١\١١٨

ثم أشار المصنف رحمه الله عن شرطي الشفاعة فقال: " **وعلم الصحابي أن يقول: اللّهم شفعه فيّ**" وفيه أن شفاعة النبيﷺ، لا تنفع إلا إذا شفّعه الله وأذن له، "**وقالﷺ: إني اختبأت دعوتي شفاعة يوم القيامة لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا**" فيه أنه يشترط في المشفوع له أن يكون ممن رضى الله عنه بأن يكون موحّدا لا يشرك بالله شيئا، أما المشرك فلا تناله الشفاعة.

**ولما فرغ** من الشفاعة عند الله وهي النوع الأول من الشفاعة شرع في النوع الثاني وهي شفاعة العباد بعضهم لبعض فقال رحمه الله:

**س٢٤ : هل نطلب الشفاعة من الأحياء؟ ج: نطلب الشفاعة من الأحياء في أمور الدنيا، قال الله تعالى:** ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء:٨٥].أي نصيب من وزرها **وقالﷺ اشفعوا تؤجروا:** صحيح رواه أبوداود

*الشرح:* الشفاعة بين العباد بعضهم لبعض سنة مستحبة يرضا ها الله ويثيب عليها ثواب عمل المشفوع عنده قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴿٨٥﴾﴾ فقد رتب الله الثواب لمن قام بالشفاعة على شفاعته مما يدل على أنها سنة، وما دام القيام بالشفاعة سنة فطلبه يكون جائزا وقولهﷺ:" اشفعوا تؤجروا " دليل أيضا على أنها سنة وطلبها جائز.

لكن لهذه الشفاعة شرطان: الأول: أن لا تكون في تحليل ما حرمه الله وتحريم ما أحله الله، ويدل عليه قوله تعالى في الآية السابقة ﴿ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴿٨٥﴾﴾ فقد رتب الله العقاب على من قام بهذه الشفاعة السيئة، فلا تكون سنة بل هي حرام، ومما يعلم به كون الشيء حراما ترتب العقاب عليه.

والشرط الثاني: أن لا تكون الشفاعة في حد من حدود الله ويدل عليه قول النبيﷺ لأسامةرضي الله عنه لما كلمه عن المخزومية التي سرقت: أتشفع في حد من حدود الله(١)

**ولما في الشفاعة الشركية** من الإطراء أراد المصنف رحمه الله استطراد حكم الزيادة في المدح فقال:

**س٤٣ : هل نزيد في مدح الرسولﷺ؟ ج: لا نزيد في مدحه، قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]. **وقال ﷺ: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله"**: رواه البخاري الإطراء هو المبالغة في المدح

*الشرح:* من المعلوم أن أهم أسباب الشرك قديما هو الغلو في المخلوق حيث إن الناس لما غلوا في المخلوق وأعطوه منزلة فوق منزلته جعلوا فيه حظا من الألوهية وحظا من الربوبية وذلك بتشبيهه بالله سبحانه وتشبيه الله سبحانه الكامل من جميع الوجوه بهذا المخلوق الناقص.

**مظاهر الغلو كثيرة:** منها: بغية التبرك من الأشياء والأماكن المقدسة كما هو حال عبدة الأحجار بمكة، ومنها: تلاعب الشيطان بكل قوم على قدر عقولهم، فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما هو الحال في أصنام قوم نوح، ومنها: أن الشياطين تدخل في الأصنام والأوثان وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم وهم لا يشهدون الشياطين، فجهلتهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب(٢) قوله:" **لا نزيد في مدحه**" أي لأن الزيادة

---

(١) أخرجه البخاري ٣٤٧٥

(س٢) انظر إغاثة اللهفان

في المدح من الغلو المذموم الذي أدّى بعض الأمم السابقة وكذا القبوريين من هذه الأمة إلى الشرك الأكبر والله سبحانه أمر نبيهﷺ، أن يبين لأمته حقيقة أمره ويبين خصيصته التي فضل بها عليهم **فقال تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ١١٠﴾ معنى الآية قل إني لست بإله ولا لي شركة في الملك ولا علم للغيب، ولكن فضلت عليكم بالوحي الذي يوحيه الله إليّ الذي أجلّه وأحراه بالإخبار لكم" **أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**" فإذا كان أمر الرسولﷺ كذلك فكيف بغيره فهل من مذّكر؟

**ولما علم النبي**ﷺ، فظاعة الغلو وعواقبه الوخيمة بادر إلى تحذير أمته فقال " **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**" أي في دعواهم فيه الإلهية، إذ الغلو في تعظيمه يؤدي إلى استشعار القلب بالخوف والرهبة منه والرجاء فيه فيصرف إليه حينئذ شيئا من حقوق الله تعالى.

## الجهاد والولاء والحكم

*الشرح:* ضمن المصنف في هذا الباب ثلاث مسائل الجهاد والولاء والحكم، أما الجهاد فذكره هنا لأنه أصل من أصول أهل السنة والجماعة بل هو من الإيمان، وقد بوّب به البخاري رحمه الله في صحيحه فقال باب الجهاد من الإيمان، وقال النبيﷺ: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد،[١] وقد تمنى النبي ﷺ، لنفسه الشهادة وذلك مع ما لهﷺ، من صفة الرسالة، مما يدل على أن للجهاد فضلا عظيما، روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيﷺ، قال: والذي نفسي بيده وددت إني لأقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل[٢]

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه البخاري رقم الحديث٧٢٢٧

**والمناسبة** بينه وبين الولاء والبراء كونه نتيجتهما ومقتضاهما، **وبجانب** هذا أشار رحمه الله الرد على أهل البدع الذين يتدينون بالسماع المحدث، فإنهم كثيرا ما يعطّلون الجهاد بل عدُّوه نقصا في طريق الله ومنافيا للسلوك الكامل إلى الله.

**قال شيخ الإسلام** رحمه الله في معرض تعداده لأصول محبة الله الثلاثة الإخلاص والمتابعة والجهاد، قال رحمه الله: وأما الجهاد في سبيل الله فالغالب عليهم-يعني المتدينين بالسماع المحدث- أنهم أبعد عنه من غيرهم، حتى تجد في عوام المؤمنين من الحب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحبة والتعظيم لأمر الله والغضب والغيرة لمحارم الله، وقوة المحبة والموالاة لأولياء الله، وقوة البغض والعداوة لأعداء الله ما لا يوجد منهم، بل يوجد فيهم ضد ذلك ومعلوم أن أهل الإيمان والصلاح منهم لا يفقدون هذا بالكلية، لكن هذا السماع المحدث هو وتوابعه سبب ومظنّة لضد الجهاد في سبيل الله، حتى أن كثيرا منهم يعدّون ذلك نقصا في طريق الله وعيبا ومنافيا للسلوك الكامل إلى الله، انتهى[١]

**وأما عقيدة الولاء والبراء** فهو من أهم أصول الدين فمن حققها فقد استكمل الإيمان قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان.[٢]

وهي سبب لتذوق حلاوة الإيمان، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن أحب عبدا لا يحبه إلا لله عز وجل ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار.[٣]

**وأما الحكم**- وهو البحث عن وجوب الحكم بما أنزل الله وكونه شركا إذا كان بغير ما أنزل الله- فمناسبة ذكره مع الولاء والبراء لأنه داخل فيهما لأن طاعة الله ورسوله في التشريع هو عين الولاء، وكذا طاعة غيرهما ولاء معه، وذلك لأن الباعث للطاعة هو المحبة.

(١) الاستقامة ١/١٦٣

(٢) رواه أبو داود ٤٦٨١ وصححه الألباني

(٣) رواه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه رقم الحديث ٢١

**س٤٤: ما حكم الجهاد في سبيل الله؟ ج: الجهاد واجب بالمال والنفس واللسان، قال الله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴿٤١﴾﴾ [سورة التوبة:٤١]. وقال ﷺ: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم" صحيح:** رواه أبوداود

*الشرح:* قوله: **"الجهاد واجب"** أي واجب على الكفاية إذا فعله البعض سقط عن الباقين أما كونه واجبا فلقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ ﴿٢١٦﴾﴾ (١) وأما كونه على الكفاية فلقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةًۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾(٢) ولأن النبي ﷺ، كان يخرج بنفسه تارة وتارة يبعث بالسرايا، فدل على أنه ليس بفرض على الأعيان، وهذا قول عامة أهل العلم، وقد يكون فرض عين وذلك إذا دخل المشركون بلدا من بلاد المسلمين، وكذا إذا استنفر الإمام، لقول النبي ﷺ، " إذا استنفرتم فانفروا"(٣) قوله **"بالمال والنفس واللسان"** أما المال فببذله لما يقوم به من النفقة في الجهاد والسلاح ونحوه وأما النفس فهو بالخروج والمباشرة للكفار، وأما اللسان فبإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله والزجر ونحوه من كل ما فيه نكاية للعدو، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾(٤) وقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

---

(١) سورة البقرة٢١٦

(٢) سورة التوبة١٢٢

(٣) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس برقم١٨٣٤ ومسلم منه أيضا برقم١٣٥٣

(٤) سورة التوبة١٢٠

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ استدل بن المسيب بهذه الآية على أن الجهاد فرض عين وأجيب بأن هذه الآية منسوخة كما قال ابن عباس أو بأنها في صورة من صور ما يكون الجهاد فيها فرض عين وهي فيما إذا استنفر الإمام أو دخل المشركون بلدا من بلاد المسلمين[١]

فيؤخذ من الآية أن من الجهاد ما هو فرض عين، وأن الجهاد يكون بالمال كما يكون بالنفس، وقوله ﷺ: **"جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"** يفيد ما أفادته الآية من أن الجهاد يكون بالمال والنفس وزاد اللسان.

**س٤٥: ما هو الولاء؟ ج: الولاء هو الحب والنصرة قال الله تعالى:** ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٧١﴾﴾ [سورة التوبة:٧١] **وقال ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه** بعضا: رواه مسلم

*الشرح:* الولاء في الاصطلاح هو كما قال المصنف الحب والنصرة، أي حب المؤمنين ونصرتهم، فمحبة جميع المؤمنين ونصرتهم، وكذا ما يلحق به من حقوق المسلمين في جميع المكان والزمان لأجل إيمانهم واجبة، فقد قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم[٢] فلا يجوز معاداة أحد من المؤمنين من أجل الدنيا أو تعصب قبلي أو مذهبيّ فمن عادى المؤمن فقد حارب الله كما جاء في حديث القدسي إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب[٣]

---

(١) انظر المجموع بتكملة محمد أيمن
(٢) أخرجه مسلم برقم٥٤
(٣) أخرجه البخاري برقم٦٥٠٢

أما نصرتهم فيكون باليد والمال والقلم واللسان فيما يحتاجون إلى النصرة فيه، قال النبيﷺ: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"(١) وأما حقوق المسلم فكتجهيز الميت والصلاة عليه ورد السلام والقيام بما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم، كتعليمهم شرائع الإسلام ودعوتهم، وكالتكفل في أمور الطب والصناعة ونحوهما مما ينفعهم في أمور حياتهم.

ومن أوضح الأدلة على هذا الولاء "**قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴿٧١﴾﴾ وقولهﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا،**"

**وهذا الولاء هو الولاء المطلق** ولا يكون إلا لمن أقام شعائر الله ولم يصر على شيء من الكبائر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (٢) فأداة الحصر تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين في الآية والتبري من ولاية غيرهم.

**وأما الولاء المقيد** فهو حب من أصر على المعصية بقدر ما عنده من الإيمان وبغضه بقدر ما عنده من المعاصي، والمحبة للمسلم العاصي تقتضي مناصحته وعدم السكوت على معصيته بل يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر وتقام الحدود عليه، كما فعل النبيﷺ مع رجل اسمه عبد الله حينما أوتي به وهو شارب للخمر ولعنه بعض الصحابة رضي الله عنهم فقال النبيﷺ: لا تلعنوه فوالله ما علمت أنه يحب الله ورسوله(٣) ومع ذلك أقام عليه الحد، وتقتضي أيضا أن يهجر هذا العاصي إذا كان الهجر يؤدي إلى إبعاده عن المعصية كما هجر النبيﷺ، كعب بن مالك وصاحبيه حين تخلفوا من غزوة تبوك، والقصة مشهورة، وكذلك البدعي الذي كانت بدعته غير مكفرة، وكان داعيا إلى بدعته أو مظهرا

---

(١) رواه البخاري من حديث أنسرضي الله عنه برقم٢٤٤٣

(٢) سورة المائدة٥٥

(٣) أخرجه البخاري٦٧٨٠

لها يجب بغضه بقدر بدعته وهجره، وهذا مجمع عليه وممن حكى الإجماع الصابوني في عقيدته.

أما من كان يخفي بدعته ولا يدعو إليها فهو كالعاصي المخفي لمعصيته يجالس ويسلم عليه ولا يهجر، روى الفضل[1] عن الإمام أحمدرَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: إذا عرفت من أحد نفاقا فلا تكلمه قال الفضل: قلت: كيف يصنع بأهل الأهواء قال: أما الجهمية والرافضة فلا قيل له: فالمرجئة؟ قال: هؤلاء أسهل إلا المخاصم منهم فلا تكلمه.

وأما من كانت بدعته مكفرة فحكمه -بعد ما أقيمت عليه الحجة وحكم عليه بالكفر- كبقية الكفار وسيأتي فيما بعد.

**ولما فرغ** من بيان حكم موالاة المؤمنين أراد أن ينبه عن ضدها وهو العداوة للكفرة وإن لم يترجم له، ويحتمل أن يكون قد حذف المعطوف في الترجمة، فيكون تقديره الجهاد والولاء والبراء والحكم، وهذا الاحتمال أولى، ليكون حكم البراء مقصودا بالذات فقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

**س٤٦: هل تجوز موالاة الكفار ونصرتهم؟ ج: لا تجوز مولاة الكفار ونصرتهم قال تعالى:** ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴿٥١﴾﴾ [سورة المائدة: ٥١] **وقال ﷺ: إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي:** صحيح، رواه أحمد

*الشرح:* معاداة الكفار واجبة شرعا بل هي جزء من شهادة أن لا إله إلا الله فإن من معناها البراءة من كل ما يعبد من دون الله قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾[2]. ويلزم من اجتناب الطاغوت اجتناب أهله ومحاربتهم والتحذير من مكائدهم وأفكارهم.

---

(١) وعنه في تعليق تهذيب تسهيل العقيدة١٩٣

(٢) سورة النحل ٣٦

قال شيخ الإسلام: وكل ما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنا وظاهرا أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد[١]

ومن الأدلة على وجوب معاداة الكفار وتحريم مولاتهم قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴿٤﴾﴾ [٢] وقوله تعالى: "**﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴿٥١﴾﴾ وقولهﷺ: إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله وصالح المؤمنين**" وهو مجمع عليه بين العلماء.

**ثم إن هذه الموالاة المحرمة** تنقسم إلى قسمين كفرية وغير كفرية:

فالأولى: فمن مظاهرها التشبه بالكفار في أمر يوجب الخروج من دين الإسلام كلبس الصليب تبركا مع العلم بأنه شعار للنصارى، ومنها: الدعوة إلى وحدة الأديان أو التقريب بين الأديان فمن قال بهذا فهو مرتد لرده قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴿٨٥﴾﴾[٣] ومنها: موالاتهم بإعانتهم على المسلمين وهو نوعان: الأول: إعانتهم محبة ورغبة لظهور الكفار على المسلمين، فهذه الإعانة كفر مخرج من الملة بإجماع أهل العلم والثاني: إعانتهم على المسلمين والحامل عليها مصلحة شخصية أو عداوة دنيوية بين المعين وبين من يقاتله الكفار من المسلمين، وهذه الموالاة اختلف في حكمها العلماء فبعضهم جعلوها مكفرة لظاهر قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٤] وبعضهم جعلوها محرمة وكبيرة من الكبائر التي لا تصل إلى الإخراج من الملة، وأكبر دليل لهذا الفريق قصة حاطب بن أبي بلتعة وحاصل القصة أنهرضي الله عنه جسّ على النبيعليه الصلاة والسلام وعلى الصحابة في غزوة فتح

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم٢٠

(٢) سورة الممتحنة٤

(٣) آل عمران٨٥

(٤) سورة النحل١٠٧

مكة فكتب كتابا إلى مشرك مكة يخبرهم فيه بمسير النبيﷺ إليهم وكان النبيﷺ قد أخفى وجهة سيره لئلا تستعد قريش للقتال وكان الدافع لحاطبرضي الله عنه لكتابة هذا الكتاب هو مصلحة شخصية ومع ذلك لم يحكم النبيﷺ بردته ولم يقم عليه حد الردة، فإذا ثبت أن ما فعله حاطب ليس بردة وهذا مجمع عليه مع أن رسالته لو وصلت إلى مشركي مكة لاستعد قريش للحرب وهذا خلاف ما قصده النبيﷺ، من تعمية خبر غزوه لهم، فما عمله حاطب إعانة عظيمة للكفار في حربهم للمسلمين، فإذا ثبت ذلك علم أن الإعانة لا تكون كفرا حتى يكون الحامل عليها محبة الكفار والرغبة في انتصارهم على المسلمين.

وأما الثانية-وهي غير الكفرية- فمن مظاهرها المصادقة مع الكفار ومنها: الاستيطانة في بلاد الكفر إلا في حال الضرورة، لقول جابر بن عبد اللهرضي الله عنه: بايعت النبيﷺ، على النصح لكل مسلم وعلى مفارقة المشرك،[١] ومنها: التشبه بهم فيما هو خاص بهم من عادات وآداب أو هيئات، قال شيخ الإسلام والموالاة والمعاداة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم، ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع ما من الموالاة والموادة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة وتدل عليه العادة.[٢]

**س٤٧: من هو الولي؟ ج: الولي المؤمن التقي قال تعالى:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [سورة يونس:٦٣]. **وقالﷺ: إنما وليّي الله وصالح المؤمنين**: صحيح رواه أحمد

(١) أخرجه أحمد

(٢) اقضاء الصراط المسقيم٦٦

*الشرح:* قوله: **"من هو الولي"** أي من هو الولي الذي يجب موالاته، وبهذا التقدير يتم مناسبة هذه الجملة بما قبلها، قوله: **" الولي المؤمن التقي"** إشارة منه ﷺ إلى أن الولي قسمان: وليّ الله ووليّ الشيطان دل عليهما القرآن، فمن الأول قوله تعالى: "﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ "فالآية لما ذكرت ثواب الأولياء ومزياتهم، صرحت حقيقتهم بأنهم الصادقون بإيمانهم والمجتنبون كل ما يكرهه الله ويسخطه، وهم الذين يجب موالاتهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ وقوله ﷺ: **"إنما وليّي الله وصالح المؤمنين"** يدل على ما دلت الآية من حصر الوليّ بصالح المؤمنين، وهم نوعان: سابقون مقربون وأصحاب يمين مقتصدون، قال ابن رجب رحمه الله عند شرح الحديث القدسي الذي رواه البخاري والذي فيه "وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه" قال رحمه الله إن أولياء الله على قسمين أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات... والثاني: من تقرب إليه بالنوافل، ومثله في "الفرقان" لشيخ الإسلام ابن تيمية في الفصل الثالث.

وأما القسم الثاني: فكقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٧﴾ (١)

والفرق بينهما أن وليّ الله هو المؤمن الموافق المتبع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه، ووليّ الشيطان بعكسه.

**س٤٨: بما ذا يحكم المسلمون؟ ج: يحكم المسلمون بالقرآن والحديث الصحيح قال الله تعالى:** ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۝٤٩﴾ [سورة المائدة:٤٩]
**وقال ﷺ: "عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك":** رواه مسلم

(١) الأعراف٢٧

*الشرح:* تحكيم الكتاب والسنة فرض على العباد بل هو من الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله بدخول الجنة بلا عذاب، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ (١)

فلما نفى الله الإيمان حتى توجد هذه الغاية دل على أن هذه الغاية فرض على الناس فمن تركه كان من أهل الوعيد، وهو مرتبط بشهادة أن محمد رسول الله لأنها تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه، كما يجب على الخلق أن يحللوا ما حلله ويحرموا ما حرمه، فلا حرام إلا ما حرّمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله، ولهذا ذم المشركين لكونهم حرموا مالم يحرمه ولكونهم شرعوا دينا لم يأذن به الله كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴿١٣٦﴾﴾(٢) .وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴿٢١﴾﴾(٣) .(٤) قوله: "يحكم **المسلمون بالقرآن والسنة**" أي لأنه فرض عليهم وأمر الله نبيهم به، "**قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴿٤٩﴾**" والأمر بالشيء نهي عن ضده ولم يكتفي بالأمر به بل نهاه عن اتباع ما يهوونه مما يخالف حكم الله فقال تعالى: "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ" مما يدل على أن الحكم بغير ما أنزل الله من اتباع الهوى وهو كقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ ﴿٥٠﴾﴾(٥) قوله: " **عالم الغيب والشهادة...**" تمام الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان إذا قام ﷺ من الليل افتتح صلاته فقال: اللهم رب جبريل وميكائل واسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون

(١) سورة النساء٦٥

(٢) سورة الأنعام ١٣٦

(٣) سورة الشورى٢١

(٤) انظر مجموع الفتاوى٧\٣٧-٣٨ واقتضاء الصراط المستقيم

(٥) القصص٥٠

اهدني لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك على صراط مستقيم"[١] قوله **"أنت تحكم بين عبادك"** أي يوم القيامة بالتمييز بين المحق والمبطل تثيب المحق وتعاقب المبطل، قوله: "لما اختفوا فيه" أي من أمر الدين في أيام الدنيا.

وهذا الحكم في الآخرة وليس في الدنيا لكن لما كان حكمه سبحانه في الآخرة بين الخلائق وإثابتهم وعقابهم مبنيا على حكمه في الدنيا علم منه أن على المسلمين أن يحكموا بحكم الله، وإلا سيصيبهم حكم الله بعقابه، وبهذا يظهر وجه استدلال المصنف بهذا الحديث والله أعلم.

**ومن لازم وجوب الحكم** بالكتاب والسنة وجوب العمل بهما ولذلك شرع المصنف في البيان عن حكم العمل بهما فقال رحمه الله:

## العمل بالقرآن والحديث

**س٤٩: لماذا أنزل الله القرآن؟ ج: أنزل الله القرآن للعمل به، قال تعالى:** ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ٣﴾ [سورة الأعراف:٣] **وقال ﷺ: اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تأكلوا به:** صحيح، رواه أحمد

*الشرح:* العمل بالقرآن معناه إحلال ما حلله وتحريم ما حرمه والانقياد لأوامره والانزجار بزواجره والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والدعوة إلى ذلك، وهو واجب لقوله سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ فقوله ما أنزل إليكم شامل للقرآن والحديث، مع أن المصنف ذكر حكم العمل بالحديث مستقلا فيما سيأتي والعمل بالقرآن يحتاج إلى أمر واحد، وهو البحث عن دلالة الدليل لمدلوله لأن لا يكون

(١) أخرجه مسلم ٧٧٠

في غير موضعه، وأما الحديث فيحتاج إلى أمرين، أحدهما: البحث عن صحته، والثاني: البحث عن دلالته، وقوله ﷺ: **اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تأكل به** استدل به وبمثله بعض العلماء على عدم جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن، وخالف الجمهور فأجازوه مستدلين بحديث ابن عباس رضي الله عنهما "إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله" قال الصنعاني رحمه الله: في شرح هذ الحديث وقد عارضه ما أخرجه أبوداود من حديث عبادة بن الصامت، ولفظه: علمت ناسا من أهل الصفة الكتاب والقرآن فأهدى إلي رجل منهم قوسا فقلت ليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله، فأتيته فقلت يا رسول الله رجل أهدى إلي قوسا ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن وليست لي بمال فأرمي عليها في سبيل الله، فقال إن كنت تحب أن تطوق طوقا من نار فاقبلها فاختلف العلماء في العمل بالحديثين، فذهب الجمهور ومالك والشافعي إلى جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ويؤيده ما يأتي في النكاح من جعله ﷺ تعليم الرجل لامرأته القرآن مهرا لها قالوا وحديث عبادة لا يعارض حديث ابن عباس إذ حديث ابن عباس صحيح وحديث عبادة فيه راو فيه مقال قالوا: ولو صح فإنه محمول على أن عبادة كان متبرعا به غير قاصد لأخذ الأجرة فحذره ﷺ، من إبطال أجره وتوعده، وفي أخذ الأجرة من أهل الصفة بخصوصهم كراهة ودناءة لأنهم ناس فقراء كانوا يعيشون بصدقة الناس فأخذ المال منهم مكروه، إ هـ بنوع تصرف.

**لطيفة:** عبارة المصنف توحي إلى القول بعدم جواز أخذ الأجرة لأن سؤاله عن الباعث لإنزال القرآن، وليس عن حكم العمل بالقرآن، ثم رتب جوابه بقوله" ليعمل به" أي لا ليؤكل به ويدل على ما أقول إيراده الحديث المانع عن الأكل به، لكن الآية لا تساعده لأنها وكذا صدر الحديث **"اقرءوا القرآن واعملوا به"** إنما تدلانِ على حكم العمل بالقرآن وهو الوجوب، وجعلت الشرح على ما تدل الآية موافقة للترجمة ومجاراة لمذهب الجمهور والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

**س٥٠: ما حكم العمل بالحديث الصحيح؟ ج: العمل بالحديث الصحيح واجب، لقوله تعالى:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ٧﴾ [سورة الحشر:٧]. **وقال ﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها:** صحيح رواه أحمد

*الشرح:* أراد المصنف بهذه الفقرة أن يبين حكم العمل بالحديث ومع ذلك -والله أعلم- أراد الرد على بعض المبتدعة الذين لا يقبلون حديث الآحاد في العقائد، **قوله تعالى:** "﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ٧﴾"(١) .دليل على وجوب الأخذ بالسنن الصحيحة.

أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لعن الله الواشمات والمستَوشِمات والمتنمصات، والمتفلِّجَات، للحسن، والمغيِّرات لخلق الله فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت: بلغني أنك قلت كذا وكذا، فقال: ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله فقالت: لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: إن كنت قرأته فقد وجدته، أما قرأتِ: قوله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ٧﴾؟ قالت: بلى، قال: فإن رسول الله ﷺ نهى عنه قالت: إني لأظن أهلك يفعلونه. قال: اذهبي فانظري، فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا، فجاءت فقالت: ما رأيت شيئا، قال لوكان كذا لم نجامعنا، وقوله ﷺ: " **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء .......**" فيه أمر بالعمل بالحديث وإلزام به مما يدل على وجوب العمل به وسيأتي مزيد بحث للحديث في باب "البدعة والسنة" إن شاء الله.

(١) سورة الحشر٧

**س١٥: هل نستغني بالقرآن عن الحديث؟ ج: لا نستغني بالقرآن عن الحديث قال الله تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ۝٤٤﴾ [سورة النحل:٤٤] **وقال ﷺ: ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه** صحيح: رواه أبوداود وغيره

*الشرح:* من المعلوم أن حديث الرسول ﷺ، شقيق القرآن في الحجية، فلا يرغب عنه إلا ملحد ضال أضله الشيطان وأغواه لأن الراغب عن الحديث راغب عن القرآن قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2] قوله: **"لا نستغني بالقرآن عن الحديث"** أي لأن الحديث مما أتاه الرسول ﷺ، وأمرنا الله الأخذ به، بل هو من الحِكَم التي أنزل الله تعالى من أجلها القرآن **"قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٤﴾**" أي لتفصّل لهم ما أجمل من الذكر وتبين لهم ما أشكل فبيان الكتاب يطلب من السنة، فلا يجوز الاستغناء عن المبين بكسر الياء كما لا يجوز عن المبين بفتحها.

قال شيخ الإسلام: واعلم أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفاصيلها إنما يقع بطريق الإجمال والعموم أو الاستلزام، وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدل عليه وتعبره[3] "**وقال ﷺ: ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**" تمام الحديث عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ، أنه قال:" ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من الحلال فأحلوه وما وجدتم

(١) سورة الحشر٧

(٢) سورة النجم٣-٤

(٣) اقتضاء الصراط المسقيم٢٣

فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، الحديث، قوله: **"ومثله معه"** أي ما يماثل القرآن بوجوب العمل به، قوله: **"ألا يوشك"** قال الخطابي يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله ﷺ، مما ليس له ذكر في القرآن، وقوله:" **ألا لا يحل لكم**" بيان للقسم الذي ثبت بالسنة وليس له ذكر في القرآن.

**وفيه رد على القرآنيين** الذين قال إمامهم الهندي الذي انتسب نفسه إلى أهل القرآن زورا قال عن الأحاديث: هذه كلها مكذوبة ومفتريات على الله، وإنما يجب العمل على القرآن العظيم فقط دون أحاديث الرسول وإن كانت متواترة ومن عمل على غير القرآن فهو داخل تحت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وغير ذلك من أقوال الكفرية، وقد أفتى علماء عصره بكفره[١].

**ويعلم بالأولى من عدم** جواز الاستغناء عن الحديث بالقرآن عدم جواز تقديم غيرهما والميل عنهما كلية، ولكن لأهميته وخطورته وكثرة من انهمك فيه شرع يبينه بمفرده فقال رحمه الله:

**س٥٢: هل نقدم قولا على قول الله ورسوله؟ ج: لا نقدم قولا على قول الله ورسوله، لقوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۝١﴾ [سورة الحجرات:١]. **ولقوله ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**: صحيح رواه الطبراني **وقول ابن عباس رضي الله عنهما:"أخشى أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبوبكر وعمر**

*الشرح:* من المعلوم أن الله أتم دينه وأكمله ورضيه لنا قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ۝٣﴾[٢] وما مات النبي ﷺ، إلا وقد أكمل

(١) انظر عون المعبود
(٢) سورة المائدة٣

الرسالة وأتم البيان وأظهر الحجة، فما من خير إلا وقد دل أمته عليه وما من شر إلا وقد حذر أمته منه، وفي قصته التي في التوراة التي رواها البخاري في صحيحه: "ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء"،[١] فلم يبق من الدين دقيقه وجليله شيء لم يبينه النبيﷺ فكيف يقدم قول غير الله ورسولهﷺ عليهما والأمر كذلك؟ بل هو سوء ظن بهما.

قال ابن القيم رحمه الله: عموم رسالتهﷺ، بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم وأنه لم يحوج أمته إلى أحد بعده، وإنما حاجتهم إلى من يبلغهم عنه ما جاء به، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرق إليهما تخصيص عموم بالنسبة إلى المرسل إليه وعموم بالنسبة إلى كل ما يحتاج إليه من بعث إليه، في أصول الدين وفروعه، فرسالته كافية شافية عامة لا تحوج إلى سواها ولا يتم الإيمان به إلا بإثبات عموم رسالته في هذا وهذا، فلا يخرج أحد من المكلفين عن رسالته، إلى أن قال: وعلمهم كل شيء حتى آداب التخلي وآداب الجماع، وسرد أشياء مما بينه النبيﷺ، لأمته، ثم قال في نهاية المطاف: وبالجملة فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برمته ولم يحوجهم الله إلى أحد سواه فكيف يظن أن شريعته الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارج عنها؟ ومن ظن ذلك فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر بعده، وسبب هذا كله خفاء ما جاء به على من ظن ذلك وقلة نصيبه من الفهم الذي وفق الله له أصحاب نبيه الذين اكتفوا بما جاء به واستغنوا به عما سواه.[٢] و"**قوله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ①﴾**" فيه نهي تقديم قول غير الله ورسوله على قولهما، فإنه متى استبانت الحجة من الله ورسولهﷺ وجب اتباعها وتقديمها على غيرها كائنا ما كان، وقوله ﷺ: **"لا طاعة للمخلوق في معصية**

(١) برقم٢١٢٥

(٢) انظر اعلام الموقعين٣\٣٧٦

**الخالق"** يدل الحديث على أن طاعة المخلوق بما يخالف أمر الله معصية له، مما يدل على أنه لا يجوز تقديم قول غير الله على قوله والله أعلم.

**وما أكثر تعظيم السلف** الصالح لنصوص الوحيين واحتقار آرائهم في مقابلة النص بخلاف بعض المتأخرين الذين لا يسمحون الخروج عن المذاهب الأربعة، ولو كانوا بخلاف الكتاب والسنة، مخالفين وصية الأئمة في اجتهاداتهم المخالفة لنص الكتاب والسنة وإليك أنموذجا لأقوالهم:

أفتى عمر رضي الله عنه السائل الثقفي في المرأة التي حاضت بعد أن زارت البيت يوم النحر أن لا تنفر، فقال له الثقفي: إن رسول الله ﷺ، أفتى في مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لم تستفتني في شيء قد أفتى فيه رسول الله ﷺ؟[١]

وقال علي رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله ﷺ، يمسح على ظاهره[٢] وقال ابن عباس رضي الله عنه: أخشى أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم: قال رسول الله وتقولون قال أبوبكر وعمر،

وسأل رجل الشافعي رحمة الله عليهما مسألة فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ، كذا فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال رحمه الله: أرأيت في وسطي زنارا؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قال النبي ﷺ، وتقول لي أتقول بهذا؟ أروي عن النبي ﷺ، ولا أقول به.

وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله:

وَاللهِ ما خوفي الذنوب فإنها لعلى طريق العفو والغفرانِ
لكنّما أخشى انسلاخ القلب عن تحكيم هذا الوحي والقرآنِ
ورضاً بآراء الرجال وخرصها لا كان ذا بمنَّة الرحمن

(١) رواه أبوداود٢٠٠٤
(٢) رواه أبوداود١٦٢

**س٥٣: ماذا نفعل إذا اختلفنا؟ ج: نعود إلى الكتاب والسنة الصحيحة، قال الله تعالى:** ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [سورة النساء:٥٩] **وقالﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها:** صحيح، رواه أحمد

الشرح: هذه المسألة بمثابة النتيجة لما قبلها أي فما دام على المرء ألا يقدم قول أحد من الكتاب والسنة–ومعلوم أنه لا مناص للمتنازع من التحاكم لقطع النزاع– علم من هذا أن رد التنازع إلى الكتاب والسنة واجب متحتم والله أعلم، قوله: **"نعود إلى الكتاب والسنة"** أي لا إلى غيرهما وذلك لأن الله " **قال:** ﴿**فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩**﴾" فالآية تدل دلالة قطعية على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله إلى الله ورسوله لا إلى أحد غير الله ورسوله، و**"قالﷺ: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها"** وسيأتي شرحه في باب البدعة والسنة إن شاء الله.

**واعلم أن الاختلاف والافتراق** مع أنه واقع قدرا لا محالة، كما ثبت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فكقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨﴾[1] وأما السنة فكقولهﷺ: " ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"،[2] لكنه مذموم شرعا بالكتاب والسنة أيضا أما الكتاب فكقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا

(١) سورة هود١١٨

(٢) رواه أبو داود٤٥٩٦

تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[١] .وأما السنة فكقوله ﷺ: عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة[٢]

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد ما سرد الأحاديث الدالة على افتراق الأمة: وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾[٣] وذكر آيات وأحاديث ثم قال: وهذا المعنى محفوظ عن النبي ﷺ من غير وجه يشير إلى أن التفرق لا بد من وقوعه في الأمة وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة، كما روى النّزّار بن سبرة عن ابن مسعود قال: سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال: كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا[٤] نهى النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ... إلى أن قال: واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته أو في بعضه مخطئا في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه مخطئا في نفي حرف غيره، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه، ولهذا نهيت هذه الأمة

---

(١) الأنعام١٥٣

(٢) أخرجه الحاكم وصححه الألباني

(٣) آل عمران١٠٥

(٤) قال المؤلف أخرجه مسلم وقال شارحه ابن عثيمين لم أجده عند مسلم ولكن أخرجه البخاري في صحيحه٢٤٠٨

أن تضرب آيات الله بعضها ببعض، لأن مضمون الضرب الإيمان بإحدى الآيتين والكفر بالأخرى، إذا اعتقد أن بينهما تضادا، إذ الضدان لا يجتمعان.(١)

## أنواع الاختلاف

ثم إن الاختلاف نوعان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، فالأول: هو ما كان كل من المختلفين مصيبا، وفيه صورتان الأولى: ما يحمد فيه كل من المختلفين، وهو الذي لم يؤدي إلى ظلم بين المختلفين، كما في الاختلاف الذي أقره النبيﷺ، يوم بني قريظة حين صلى بعضهم العصر في وقتها وبعضهم أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة، والثانية: ما يذم كل من المختلفين وهو الذي أدّى إلى البغي.

وأما النوع الثاني: فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع وهذا النوع تحمد فيه إحدى الطائفتين المختلفتين وتذم الأخرى.

**قال شيخ الإسلام رحمه الله:** وأما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد، واختلاف التنوع على وجوه: منها ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول اللهﷺ، عن الاختلاف، وقال: كلاكما محسن، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح..... إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه وإن كان يقال: إن بعض أنواعه أفضل، ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم كاختلافهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك، وهذا عين المحرَّم ومن لم يبلغ هذا المبلغ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الأخرى أو النهي عنه، ما دخل به فيما نهى عنه النبيﷺ.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم٤٥-٤٧

ومنها: ما يكون كل من القولين هو في معنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات..... ثم الجهل أو الظلم هو الذي يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى.

ومنها: ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جدا.

ومنها: ما يكون طريقتان مشروعتين، ولكن قد يسلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين، ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم أحدهما أو تفضيلها بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية.

**وأما اختلاف التضاد:** فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون:" المصيب واحد" وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب" فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد، فهذا الخطب فيه أشد، لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في هذا الأصل كله حتى يبقى هذا مبطلا في البعض، كما كان الأول مبطلا في الأصل، كما رأيته لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة وغيرهم،[1] وأما أهل البدعة فالأمر فيهم ظاهر.... ومن جعل الله له هداية ونورا رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداء، لكن نور على نور.

وهذا القسم الذي سميناه "اختلاف التنوع" كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد لكن الذم واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل هذا، إذا لم يحصل بغي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ

(١) رحم الله شيخ الإسلام فكيف لو رأى الاختلاف في هذا الزمان الذي ليس وراء خلاف المخالف إلا الحرص لنيل كرسي لا يرتقيه وسلوك طريق لا يهتديه.

تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٥﴾[(١)] . وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار والنخيل فقطع قوم وترك آخرون...... وكما في إقرار النبيﷺ، يوم قريظة لمن صلى العصر في وقتها ومن أخر إلى أن يصل إلى بني قريظة، وكما في قولهﷺ، إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد ولم يصب فله أجر واحد ونظائره كثيرة، وإذا جعلت هذا قسما آخر صارت الأقسام ثلاثة أقسام انتهى[(٢)]

**ولما كان العمل** بالكتاب والسنة شرطا لتحقق محبة الله ورسوله، ناسب أن يذكر شرط المحبة ومبناها فقال رحمه الله:

**س٥٤: كيف نحب الله ورسوله؟ ج: نحبهما بطاعتهما، واتباع أوامرهما، قال تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [سورة آل عمران:٣١]. **وقالﷺ: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين:** متفق عليه

*الشرح:* قوله: "**نحبهما بطاعتهما واتباع أوامرهما**" أي لا بدعوى اللسان الخالي عن العمل فالعمل بالكتاب والسنة أمر متحتم على كل من يدعي محبة الله ورسوله، وهو عنوان سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، "**قال تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾" دلت الآية على أن أول علامات محبة العبد لربه هي اتباع رسولهﷺ، وأن هذا الاتباع يؤدي إلى محبة الله لهذا العبد وإلى مغفرة ذنوبه، ومحبة الله لعبده هي السعادة الأبدية ومنتهى الأمان، كما قيل ليس الشأن أن تحب وإنما الشأن أن تحب، قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: هذه الآية حاكمة على

(١) الحشر٥

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم٤٩-٥٣

كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريق المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله انتهى

وهو كما قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه    هذا لعمري في القياس بديع

لوكان حبك صادقا لأطعته    إن المحب لمن يحب مطيع

وقوله ﷺ: " **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**" وهذا الحديث وإن لم يكن فيه ما يدل دلالة صريحة على أن علامة حب الرسول طاعته لكن يلزم من وصول محبة العبد للرسول إلى هذه الغاية أن يتبع لمحبوبه في كل ما يصدر عنه فضلا عن الغاية التي أرسل لأجلها وهي طاعته لما أمر كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُوْلٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِهِ﴾ فعلم منه أن من أحب غاية المحبة لا بد أن تشهد له جوارحه فاتضح بهذا وجه الاستدلال والله أعلم.

**س٥٥: هل نترك العمل ونتكل على القدر ج: لا نترك العمل، لقوله تعالى:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [سورة الليل:٧].
**وقال ﷺ: اعملوا فكل ميسر لما خلق له:** رواه البخاري

*الشرح:* أراد المصنف رحمه الله بهذه الفقرة ذكر مسألة عظيمة كثر فيها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم ألا وهي مسألة القدر، ومناسبة ذكرها في باب الحكم والعمل بالقرآن والحديث التنبيه على أن الحكم الشرعي والقدري لا تنافي بينهما بل الإيمان بالقدر خيره وشره هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل للشرع كما قرر النبي ﷺ، الإيمان بالقدر ثم قال: لما قيل له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: "لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

**فإن الإقرار بالقدر** مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى في أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وطعن في حكمته وعدله، وكذا الانقياد في الشرع مع نفي القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة الباري وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن في ربوبية المعبود ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية، ولا يتصف بها مما لا يبدي ولا يعيد ولا يغني عنك شيئا.

وهو سر الله الذي لم يطلع عليه أحدا لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا إذ هو تصرف الله في ملكوته، وتصرفه في ملكوته مما يختص به سبحانه لا أحد غيره يعلم ما الذي قد قدر؟ وماهي الحكمة التي لأجلها فعل ما فعل؟ لأن هذا من الغيب.

ومعلوم أن مبنى القدر عموم العلم والكتابة وعموم المشيئة والخلق، فمشيئة الله لا يعلمها العبد حيث تتوجه وكذا خلقه سبحانه لا يعلمه العبد إلا بعد الوقوع لأنه لو لم يقدر لم يقع ويحصل العلم أيضا بإخبار الرسول ﷺ، عن أمور تقع في المستقبل مثل إخباره عن الدجال وغيره.

وأما عموم علمه سبحانه فمعناه أنه جعل الذي علمه وكتبه أنه سيقع على وفق ما يشاء وعلى وفق الحكمة، وليس ثم شيء يقع على وجه الصدفة بلا ترتيب سابق، وهذه الحكمة لا يعلمها العبد، فالمؤمنون حقا يؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله خالق ذلك كله لا خالق سواه وينقادون للشرع أمره ونهيه ويصدقون خبر الكتاب والرسول وأن الهداية والإضلال بيد الله وله في ذلك الحكمة البالغة وأن حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب.

**وانطلاقا منه** لا يجوز التعدي في بحث القدر ولا الخوض فيه بما لم يدل عليه كلام الله وسنة رسوله ﷺ، وقد هلك بسببه:

١ القدرية وهم الذين قالوا بإخراج أفعال العباد عن خلق الله ﷻ وملكه وأنها ليست داخلة في ربوبيته وأنه يكون في ملكه ما لا يريد ويريد ما لا يكون بل الغلاة منهم نفوا علم الله بها وقالوا الأمر أنف[١] وأنهم يستحقون على الله من جنس ما يسحقه الأجير على المستأجر.

٢ والجبرية وهم الذين سلبوا العبد قدرته واختياره وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها ونفوا عن الله حكمته البالغة وحجته الدامغة وأثبتوا عليه الحجة لعباده ونسبه إلى الظلم وطعنوه في عدله وشرعه فأقاموا عذر إبليس وفرعون وسائر العصاة المغضوب عليهم فقالوا: إن غضب الله ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. قال قائلهم

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إيــاك إيــاك أن تبتل بالماء

فكلا الفرقين خاضوا في مشيئة الله وإرادته والتعليلات بعقولهم فلما لم يفهموا التعليل ضلوا

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهم لم يفهمــوا حكمــة له فصاروا على نوع من الجاهلية

وسبب ضلال الفرقين الدخول في أفعال الله والخوض فيه وعدم التسليم لمراد الله ﷻ وعدم تفريق ما بين الإرادتين الشرعية والكونية فيجعلون الإرادة والمشيئة واحدة فما نفي مما لم

---

(١) وهم الذين قال عنهم أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه فقد كفروا مرادهم بهذا القول أن من أنكر العلم السابق بأفعال العباد وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك وإن أقروا بذلك وأنكروا أن الله خلق أفعال العباد وأرادها منهم إرادة كونية فقد خصموا لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه وفي تكفير هؤلاء نزاع بين العلماء.

يرده الله ﷻ شرعا جعلوه منفيا قدرا فالله لم يرد الكفر فجعلوه لم يشأ الكفر لأن الإرادة عندهم شيء واحد، وقياس أفعال الله على أفعال الخلق، كما حصل للقدرية، فإنهم قاسوا أفعال الله بأفعال خلقه، فأوجبوا على الله فعل الأصلح، وأوجبوا عليه العدل ونفوا عنه الظلم بما عهدوه من الإنسان، فما حسّنته عقولهم بما رأوه في البشر حسّنوه في فعل الله، وما قبّحته عقولهم من أفعال المخلوقين قبحوه في فعل الله فنفوا أشياء كتقدير الكفر على الكافر والمعصية على العاصي عن الله وهي ثابتة له لأجل التحسين والتقبيح والصالح والأصلح والعدل والظلم، قالوا إن مقتضى الحكمة أن يكون كذلك إذ ليس من الحكمة أن يعزل عن الأصلِح إلى الصالح والصالح إلى الفاسد.

والجواب عنه: نعم الحكمة توجب ما تقتضيه الحال لكن من يقول إن ما نراه هو مقتضى الحكمة؟ فما نراه حكمة ربما يكون بخلا فها ومن المعلوم أن القدر فيه العلم والعلم يتفاوت فيه الناس فضلا عن الله فإدراك الذكي غير إدراك البليد فإذا اعترض البليد على الذكي بأن هذا الشيء ليس كذلك فيكون الاعتراض عن غير علم، ولهذا قال بعض السلف: العجز عن الإدراك إدراك.

## مراتب القدر أربعة

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله بما كان وما يكون قبل أن يكون، وما لا يكون لو كان ودليله قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾[٢]. وقال النبيﷺ: ما منكم من نفس إلا وقد عُلم [٣] منزلُها من الجنة والنار قالوا يا رسول الله فلم نعمل أفلا نتكل؟ قال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقى وَصَدّقَ بِالحُسنَى إلى قوله فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرَى﴾.

(١) سورة الطلاق١٢

(٢) سورةالأنعام٢٨

(٣) صحيح مسلم رقم الحديث٢٦٤٧

**المرتبة الثانية:** الإيمان بكتابة ما سبق به علمه أنه كائن، ودليله قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾[١]. وقال ﷺ: "ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا وقد كتبت شقيةً أو سعيدةً"[٢]

ويدخل في هذا الصنف خمسة من التقادير:

الأول: كتابة ذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة عندما خلق الله القلم وهو التقدير الأزلي.

ودليله قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾[٣]. وقال النبيﷺ: كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

الثاني: التقدير العمري حين أخذ الله الميثاق يوم" أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [٤] وعن عمرؓ أنه سئل عن هذه الآية "وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ " الآية. فقال ؓ: سمعت رسول اللهﷺ، يسأل عنها فقال:" إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار، وبعمل أهل النار يعملون".[٥]

---

(١) سورةيس١٢
(٢) متفق عليه البخاري رقم الحديث ٤٩٤٥مسلم رقم الحديث٢٦٤٧ واللفظ لمسم
(٣) الحديد٢٢
(٤) الأعراف١٧٢
(٥) رواه أبوداود وصححه الألباني

**الثالث:** التقدير العمري أيضا عند أول خلق النطفة في الرحيم، ودليله قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ (١) وقال ﷺ: إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله ورزقه وشقي أو سعيد الحديث(٢)

**الرابع:** التقدير الحولي في ليلة القدر، ودليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾﴾ (٣) .

**الخامس:** التقدير اليومي ودليله قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ (٤) .

وكل هذه التقادير كالتفصيل من القدر السابق وهو الأزلي الذي أمر الله تعالى القلم عند ما خلقه أن يكتبه في اللوح المحفوظ، وبذلك فسّر ابن عمر وابن عباس قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾(٥). وكل ذلك صادر عن علم الله الذي هو صفته.

**المرتبة الثالثة:** الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما متلازمتان من جهة ما كان وما سيكون، ولا ملازمة بينهما من جهة ما لم يكن ولا هو كائن، فما شاء الله فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ الله لم يكن لعدم مشيئة الله إياه، لا لعدم قدرته عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا

---

(١) النجم٣٢

(٢) متفق عليه

(٣) الدخان٤-٥

(٥) الجاثية٢٩

﴿٤٤﴾[١] ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[٢] .وقول النبيﷺ: قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء[٣]

**المرتبة الرابعة:** الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، ودليله قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾[٤]. وقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[٥] وقولهﷺ: إن الله يصنع كل صانع وصنعه[٦] وقولهﷺ: اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها إنك أنت وليها ومولاها.[٧]

أما قول النبي ﷺ:"والخير كله في يديك والشر ليس إليك" -مع أن الله خالق كل شيء- فمعناه أن أفعال الله عز وجل كلها خير محض من حيث اتصافه بها وصدورها عنه، ليس فيها شر بوجه، فإنه سبحانه حكيم عدل وجميع أفعاله حكمة وعدل يضع الأشياء مواضعها اللائقة بها كماهي معلومة عنده سبحانه

وما كان في نفس المقدور من شر فمن جهة إضافته إلى العبد لما يلحقه من الضرر وذلك بما كسبت يداه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾[٨] قوله: "**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**" دليل على أن سبق المقادير لا يوجب الاتكال، إنما يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، فالله سبحانه قدر المقادير وهيأ لها أسبابها وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب وقد يسر كلا من خلقه لما

(١) فاطر ٤٤
(٢) الإنسان ٣٠
(٣) صحيح مسلم
(٤) الزمر ٦٢
(٥) الصافات ٩٦
(٦) خلق أفعال العباد ٧٣ وصححه الألباني في الصحيحة
(٧) صحيح مسلم
(٨) الشورى ٣٠

خلق له في الدنيا والآخرة، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهادا في فعلها، قالﷺ، لما قيل له: أرأيت دواء نتداوى به ورقى نسترقيها هل ترد من قدر الله؟ قال: "هي من قدر الله"(١)

## السنة والبدعة

الشرح: لفظ السنة له إطلاقات أربعة:

الأول: أن كل ما جاء في الكتاب والسنة هو سنته وطريقتهﷺ، ومن ذلك قولهﷺ:"فمن رغب عن سنتي فليس مني"(٢) متفق عليه

الثاني: أن السنة بمعنى الحديث، وذلك إذا عطفت على الكتاب، ومنه قولهﷺ:"إني تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنتي" رواه الحاكم.

الثالث: أن السنة تطلق في مقابلة البدعة، ومنه قولهﷺ، في حديث العرباض بن سارية: فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة: أخرجه أبوداود(٣) ومنه تسمية بعض المتقدمين كتبهم في العقيدة باسم (السنة).

الرابع: أن السنة تطلق بمعنى المندوب، وهوما جاء الأمر به على سبيل الاستحباب، لا على سبيل الوجوب، وهذا الإطلاق للفقهاء، ومن أمثلته قولهﷺ:"لولا أن أشق على

---

(١) أخرجه الترمذي وحسنه رقم الحديث٢٠٦٥

(٢) البخاري رقم الحديث٥٠٦٣ ومسلم رقم الحديث١٤٠١

(٣) رقم الحديث٤٦٠٧

أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة"[١] فإن الأمر بالسواك استحبابا حاصل، وإنما ترك خشية المشقة على سبيل الإيجاب وأما البدعة فسيأتي تعريفها.

فإن قيل لم أدخل المصنف، مسألة السنة والبدعة، مع أنه التزم في مطلع الرسالة تحديد البحث حول العقيدة فقط؟

أجيب بأمرين: أحدهما: أن البدعة تنقسم إلى شركيَّة وغير شركيَّة فغلَّب جانب القسم الأولى فأدخلها.

والأمر الثاني: أن البدعة بريد الشرك فكل بدعة تستدعي أختها حتى يصل صاحبه إلى الشرك والله أعلم.

**س٥٦: هل في الدين بدعة حسنة؟ ج: ليس في الدين بدعة حسنة، والدليل قوله تعالى:** ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ٣﴾ [سورة المائدة:٣] **وقوله ﷺ: وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار صحيح**: رواه أحمد وغيره

الشرح: قوله تعالى: "**ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ الآية**" أي لا تحتاجون إلى دين غير دين الإسلام ولا نبيّ غير نبيكم محمدﷺ، ولا حلال إلا ما أحله ولا حرام إلا ما حرمه ولا دين إلا ما شرعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة أحكام الدين أصوله وفروعه، إلى علم غير ما أتى به النبيﷺ، فهو مبطل في دعواه وزاعم بأن الدين لا يكمل إلا بما يزعمه، قولهﷺ: "**كل بدعة ضلالة....**" تمام الحديث: عن العرباض بن ساريةرضي الله عنه قال: وعظنا رسول اللهﷺ، موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصينا قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة

(١) رواه أبو داود ٤٧

وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة، وفي رواية وكل ضلالة في النار، وفي بعض الطروق الذي أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه الألباني" فما ذا تعهد إلينا؟ قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، قوله: "والسمع والطاعة" دليل لوجوب طاعة ولي الأمر وذلك وإن كان يعصي الله مالم تكن المعصية كفرا بواحا ولم يأمر بمعصية لقوله ﷺ: اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، وأخذ المال والضرب معصية، قوله: "فسيرى اختلافا كثيرا" من معجزات الرسول ﷺ، أخبر به للتحذير لا للإقرار بدليل إرشاد أمته ﷺ، إلى ما ينجيهم وقتئذ من هذا الداء العضال بقوله ﷺ: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء" فقوله: "بسنتي" أي بالطريقة التي كنت عليها فلا تبتدعوا في دين الله ﷻ، وقوله: "وسنة الخلفاء" أي الذين خلفوه ﷺ في ولاية الأمر على طريقته ﷺ، وهم أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، بدليل قوله ﷺ: تكون خلافة النبوة ثلاثين عاما ثم يكون ملكا عاضا[١] قوله: "الراشدين" أي الذين علموا الحق فعملوا به، قوله: "المهديين" أي الذين منَّ الله عليهم فهداهم وقوله: "عضوا عليها بالنواجذ" كناية عن شدة التمسك بها.

## ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ من الحديث أن للخلفاء سنة متبعة ثابتة بوصية النبي ﷺ، ومن هذا القبيل الأذان الأول يوم الجمعة الذي سنه عثمان رضي الله عنه ولا يقال: الأذان الأول ليس معروفا في عهد النبي ﷺ، فتركه سنة وفعله بدعة، لأن السبب الذي من أجله أحدثه عثمان ليس موجودا في عهد النبي ﷺ، ففي عهده كانت المدينة ضيقة لا تحتاج إلى الأذان الأول أما في عهد عثمان فاتسعت المدينة وكثر الناس وصار منهم شيء من التهاون فاحتيج إلى أذان آخر

(١) رواه أبوداود برقم٤٦٤٦وصححه الألباني

ومعلوم أن ما لم يفعله النبيﷺ، ولم يكن له في عهدهﷺ، مقتض أو كان لكن المانع قائم لا يعد عمله بعد وجود المقتضي من البدعة، ولا يقال أيضا: خالف عثمان ابن عمر رضي الله عنهما وقول الصحابي إذا خالف صحابيا آخر لا يكون حجة، لأنا نقول: هذه القاعدة ليست على إطلاقها، وإنما إذا لم يكن مرجه لقول أحدهما، وما نحن فيه له مرجّحات منها أن عثمانرضي الله عنه من الخلفاء الذين أوصى النبيﷺ بسنتهم وليس ابن عمررضي الله عنه كذلك ومنها إقرار عليٍّرضي الله عنه وهو من الخلفاء أيضا وليس كذلك ابن عمر.

قال ابن دقيقرحمه الله: وأمر النبيﷺ، بالثبات على سنة الخلفاء الراشدين لأمرين أحدهما: التقليد لمن عجز عن النظر، والثاني: الترجيح لما ذهبوا إليه عند اختلاف الصحابة.

وقال ابن رجبرحمه الله: في شرح قولهﷺ: كل بدعة ضلالة: هو من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين، وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر عن التراويح نعمت البدعة هذه وروي عنه أنه قال: إن كانت هذه بدعة فنعمت البدعة، ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس إليه وأقره عليّ واستمر عمل المسلمين عليه، وروي عن ابن عمر أنه قال: هو بدعة ولعله أراد ما أراده أبوه في التراويح. (١)

**س٥٧: ماهي البدعة في الدين؟ ج: البدعة في الدين هي الزيادة فيه أو النقصان، قال الله تعالى:** ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الشورى:٢١] **وقالﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد:** متفق عليه: رد غير مقبول

(١) انظر شرح الحديث الثامن والعشرين من الأربعين النووي لابن دقيق وابن رجب وابن عثيمن وانظر تحفة الأحوذي وعون المعبود

*الشرح:* اختلف العلماء في تعريف البدعة اختلافا أدى إلى التفاوت في استيفاء جزئيات التعريف مع أن مضمون تعريفاتهم واحد في الجملة.

ومن هذه التعريفات تعريف الشاطبي قال رحمه الله:"البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه" (١)

فقوله رحمه الله: يقصد بالسلوك الخ، خرج به ما أحدث ولم يقصد به التعبد وإنما قصد به تحقيق مصلحة دنيوية، كإحداث بعض الصناعة.

**وقال ابن رجب رحمه الله:** "والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعا وإن كان بدعة لغة"(٢)

قوله: أما ما كان له أصل الخ، مثال ذلك صنع وسائل الحرب الحديثة قاصدا بذلك الاستعداد لقتال الكفار فصنعه هذا ليس ببدعة، مع أن الشرع لم ينص على عينه ولم يستخدمها الرسول ﷺ: في قتال الكفار لكن صناعة مثل هذه الوسائل داخلة تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾(٣).

**وقال السيوطي رحمه الله:** "البدعة عبارة عن فعلة تصادم الشريعة بالمخالفة أو توجب التعاطي عليها بزيادة أو نقصان"(٤) فقوله: تصادم الشريعة بالمخالفة مخرج لما له أصل ودلت عليه قواعد الشريعة كما مر، وقوله: توجب التعاطي عليها الخ، يدل على أن البدعة في الدين تكون بالنقص فيه كما تكون بالزيادة فيه، وهي المعبر عنها ببدعة تركية، لكن كون البدعة بالنقص مشروط بكون الباعث على النقص هو التدين، كترك نوع معين من أنواع الطعام مثل اللحم، كما جاء في الحديث عند الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي،

---

(١) الاعتصام ١ ٣٧

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٦٥

(٣) سورة الأنفال ٦٠

(٤) الأمر بالإتباع والنهي عن الابتداع ص٨٨

فحرمت عليّ اللحم فأنزل الله قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧﴾[1].

أما إذا كان الباعث عليه غير التدين فليس ببدعة، وذلك كترك أمر واجب تكاسلا فمعصية والمعصية غير البدعة، وكترك المندوب فغير مؤاخذ به، فلا يعد بدعة وكترك الواجب لعذر فمعذور وليس ببدعة، وقول المصنف: **البدعة في الدين هي الزيادة فيه أو النقص:** تعريف بجزء تعريف السيوطي وأما قوله تعالى: "**﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ ٢١﴾الآية وقولهﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**" فيؤخذ من الآية والحديث أن للبدعة قيودا ثلاثة، وهي كونه محدثا وأن ينضاف إلى الدين وألا يستند إلى أصل من الأصول الشرعية، أما كونه محدثا فمن قوله تعالى:" شَرَعُواْ لَهُمْ"، ومن قولهﷺ:" من أحدث"، وأما إضافته إلى الدين فمن قوله تعالى: "مِنَ الدِّينِ"، وقولهﷺ: "في أمرنا هذا"، وأما عدم استناده إلى أصل من الأصول فمن قوله: "ما ليس منه".

ويؤخذ أيضا من الحديث أن البدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبول كما أنها قبيحة ليس فيها حسن.

**ثم إنها تنقسم** بحسب إخلالها بالدين إلى قسمين مكفرة وغير مكفرة، وضابط المكفرة من أنكر أمرا مجمعا عليه متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة، من جحود مفروض أو فرض ما لم يفرض أو إحلال محرم أو تحريم حلال أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله وكتابه عنه، من نفي أو إثبات لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل به رسولهﷺ، كبدعة الجهمية في انكار صفات الله والقول بخلق القرآن وكبدعة القدرية في انكار علم الله وأفعاله وقدره وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه، ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين

---

(١) سورة المائدة٨٧

قصده هدم الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره، وآخرون مغرورون ملبس عليهم فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها.

والقسم الثاني: هي التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل الله به رسوله، كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدا من بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد وسبهم كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم اعتقاد على شرعيته بل بنوا تأويلا وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية.

ثم البدعة قد تكون مبطلة للعبادة التي تقع فيها كمن صلى الرباعية خمسا وقد تكون معصية ولا تبطل العمل الذي تقع فيه كالوضوء أربعا أربعا، وكقراءة القرآن راكعا أو ساجدا وهو منهي عنه شرعا ولا يبطل الصلاة[١]

**س٨٥: هل في الإسلام سنة حسنة؟ ج: نعم في الإسلام سنة حسنة.**
**وقال ﷺ: من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا:** رواه البخاري

*الشرح:* السنة الحسنة لها معنيان: الأول: ابتداء فعل ما سنه النبي ﷺ، أو إحياءه، والثاني: فعل ما يوصل إلى شيء مشروع، قوله ﷺ: **" من سن في الإسلام الحديث"** أي من ابتدأ العمل بالسنة، ويدل لهذا أن النبي ﷺ، ذكره بعد أن حث على الصدقة للقوم الذين وفدوا إلى المدينة ورغب فيها فجاء الصحابة كل بما تيسر له وجاء رجل من الأنصار بصرّة قد أثقلت يده فوضعها في حجر النبي ﷺ، فقال ﷺ: من سن سنة حسنة.... يعني ابتدأ العمل بالسنة وسن الطريق للناس وتأسوا به، ويحتمل أن يكون معناه من سن الوصول إلى

(١) انظر معارج القبول ٢\٣٧٨-٣٨٢

شيء مشروع من قبل، وذلك كجمع الصحابة المصاحف على مصحف واحد، فهذا سنة حسنة لأن المقصود من ذلك منع التفرق بين المسلمين وتضليل بعضهم بعضا، فهو من باب -الوسائل لها أحكام المقاصد-، ولا يشترط في الوسائل أن يكون مما فعله النبيﷺ فظهر من هذا التقرير أنه ليس بين قولهﷺ: كل بدعة ضلالة وبين قولهﷺ: من سن سنة حسنة... أيُّما تعارض والله أعلم.

**س٥٩: متى ينتصر المسلمون؟ ج: ينتصر المسلمون إذا رجعوا إلى تطبيق كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ وأخذوا بنشر التوحيد وحذروا من الشرك على اختلاف مظاهره، وأعدوا لأعدائهم ما استطاعوا من قوة، قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧﴾ [سورة محمد:٧]
**وقال تعالى أيضا:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ٥٥﴾ [سورة النور:٥٥].

*الشرح*: قوله: **متى** اسم استفهام عن الزمان، وقوله: **إلى تطبيق كتاب ربهم وسنة نبيهم** أي تنفيذ مقتضاهما، وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، والدليل من الحديث قول النبيﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم"(١)

**وليعلم أن هذه الدنيا** دار ابتلاء وامتحان، يبتلى فيها المؤمنون بالسراء والضراء قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾(٢) .

(١) رواه أبوداود رقم الحديث ٣٤٦٢ وصححه الألباني
(٢) سورة الأنبياء٣٥

وعداوة الكفار للمؤمنين عداوة قديمة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَاعُوا۟ ۝٢١٧﴾ (١)

والنصر على الأعداء له أسباب كثيرة، منها: الإيمان بالله، والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝٥٥﴾(٢).

ومنها: الثبات عند لقاء العدو، وكثرة الذكر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾ (٣).

ومنها: الأخذ بأسباب القوة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾(٤).

وروى مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: "وَأَعِدُّوا لَهم مَا استَطَعتُم مِن قُوةٍ، ألاَ إن القُوةَ الرميُ، ألا إن القوة الرميُ ألا إن القوة الرميُ(٥).

وكل هذا داخل في قول المصنف" **إذا رجعوا إلى تطبيق كتاب ربهم وسنة نبيهم**" وقوله: **وأخذوا بنشر التوحيد وحذروا من الشرك وأعدوا لأعدائهم**، من عطف الخاص على العام.

---

(١) سورة البقرة٢١٧

(٢) سورة النور٥٥

(٣) سورة الأنفال٤٥

(٤) سورةالأنفال٦٠

(٥) مسلم١٩١٧

**ومن أعظم أسباب الخذلان** مخالفة أمر الله ورسوله، والتنازع و المعاصي قال تعالى:﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[١]

وروى أحمد رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: بعثتُ بينَ يدَي السَاعَة بالسيف، حَتى يُعبَدَ الله وحدهُ لا شَريكَ له، وَجُعلَ رزقِي تَحتَ ظِل رمحِي، وجُعل الذُلُّ والصغَار على من خَالفَ أمري، وَمَن تشَبهَ بِقوم فهُوِ مِن هُم[٢]

وقال تعالى مبينا سبب انهزام بعض المسلمين في إحدى الغزوات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [٣].

**فإن قيل:** ما المناسبة بذكر هذه الجملة في باب البدعة والسنة، قلت –والله أعلم– كأن المصنف أراد الرد على الحركيين الذين ينتظرون النصر وإقامة الدولة، وهم مُخِلُّون ببعض أسبابه[التصفية والتربية] [٤] وكأنه عد هذا من البدع.

وللإمام الألباني رحمه الله رسالة حول هذه الفقرة، أسماها "التصفية والتربية" جعل فيها أن إقامة دولة الإسلام بدون العلم الصحيح والتربية الصحيحة مما يستحيل، ونقل فيها كلمة من بعض معاصريه، وها هي" أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم على أرضكم" وقال: وهي في رأي كأنها من وحي السماء.

وقد عقد المصنف رحمه الله لهذه المسألة بابين في رسالته الموسومة منهاج الفرقة الناجية

(١) الأنفال٤٦

(٢) أخرجه أحمد٥١١٥

(٣) سورة آل عمران١٥٥

(٤) التصفية هي تصفية العقيدة مما يشوبها من العقائد الفاسدة والخرافات وتصفية السنة مما أدخل فيها مما ليس منها، والتربية هي تربية النفس أولا وغيرها ثانيا على ما ثبت عن رسول الله ﷺ.

الباب الأول: "العقيدة أولا أو الحاكمية؟ "ذكر فيه أن الإسلام لا يعود إلى ما كان عليه ولا تتأتى حاكمية هذا الدين في الأرض إلا بتصحيح العقيدة وتربية جيل على العقيدة الصحيحة.

الباب الثاني: "شروط تحقيق النصر" ذكر فيه مراحل سيرة الرسول ﷺ:

١مرحلة التوحيد ٢ مرحلة الأخوة بين المهاجرين والأنصار ٣ مرحلة الاستعداد للأعداء وقال وعند ما نعود إلى عقيدة التوحيد ونكون متحابين ونستعد للأعداء بالسلاح سيتحقق النصر للمسلمين، ثم قال آخرا ليس هذا معناه أن هذه المراحل منفصلة، بمعنى أن مرحلة الأخوة لا تكون مع مرحلة التوحيد، فهذه المراحل يمكن أن تتداخل.

**هذا ولما كان سؤال دوام الهداية** ليلا ونهارا أمرا مرغوبا فيه الذي أمرنا الله لأجله أن نقول في كل يوم سبعة عشر مرة على الأقل: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ" أراد المصنف أن يختم عمله بدعاء شامل لأنواع التوحد مما يدل على أنه رحمه الله حريص على عقيدته وكيف لا وهو خارج من أوحال التصوف بعدما خاض في بحره فقال رحمه الله:

## الدعاء المستجاب

**قال رسول الله ﷺ: ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هولك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم غيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، -إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرجا** صحيح: رواه أحمد

## هذه العقيدة

**يتوقف عليها مصير المسلم من سعادة أو شقاء، وإن أهم ما فيها التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله وأرسل الرسل لتحقيقه، فهذا رسول الله ﷺ: بقي في مكة ثلاثة عشر عاما، يدعو إلى توحيد الله في عبادته ودعائه وحده دون سواه** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [سورة الجن:١٨]. **ومن التوحيد أن تؤمن بصفات الله، ومنها: العلو على عرشه تحقيقا لقوله تعالى:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥] **أي علا وارتفع وأنه سبحانه مع عباده بسمعه ورؤيته وعلمه: قوله تعالى:** ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [سورة طه:٤٦].

*الشرح*: وهذه الجمل كالخلاصة لما في جميع الرسالة نبه بها توقف سعادة العبد بما في هذا الكتاب وأن أهم ما فيه توحيد الألوهية الذي يتضح أهميته بأنه هو الذي خلق الله العالم وأرسل الرسل لأجله وهو الذي وقع الصراع لأجله بين الرسل وأممهم، ومنه بالأهمية توحيد الأسماء والصفات الذي خالف كثير من متأخر هذه الأمة عن أوائلها والله أعلم.

والحمد لله على التمام وصلى الله وسلم على النبي الخاتم وآله وصحبه أجمعين

## فهرس المحتويات